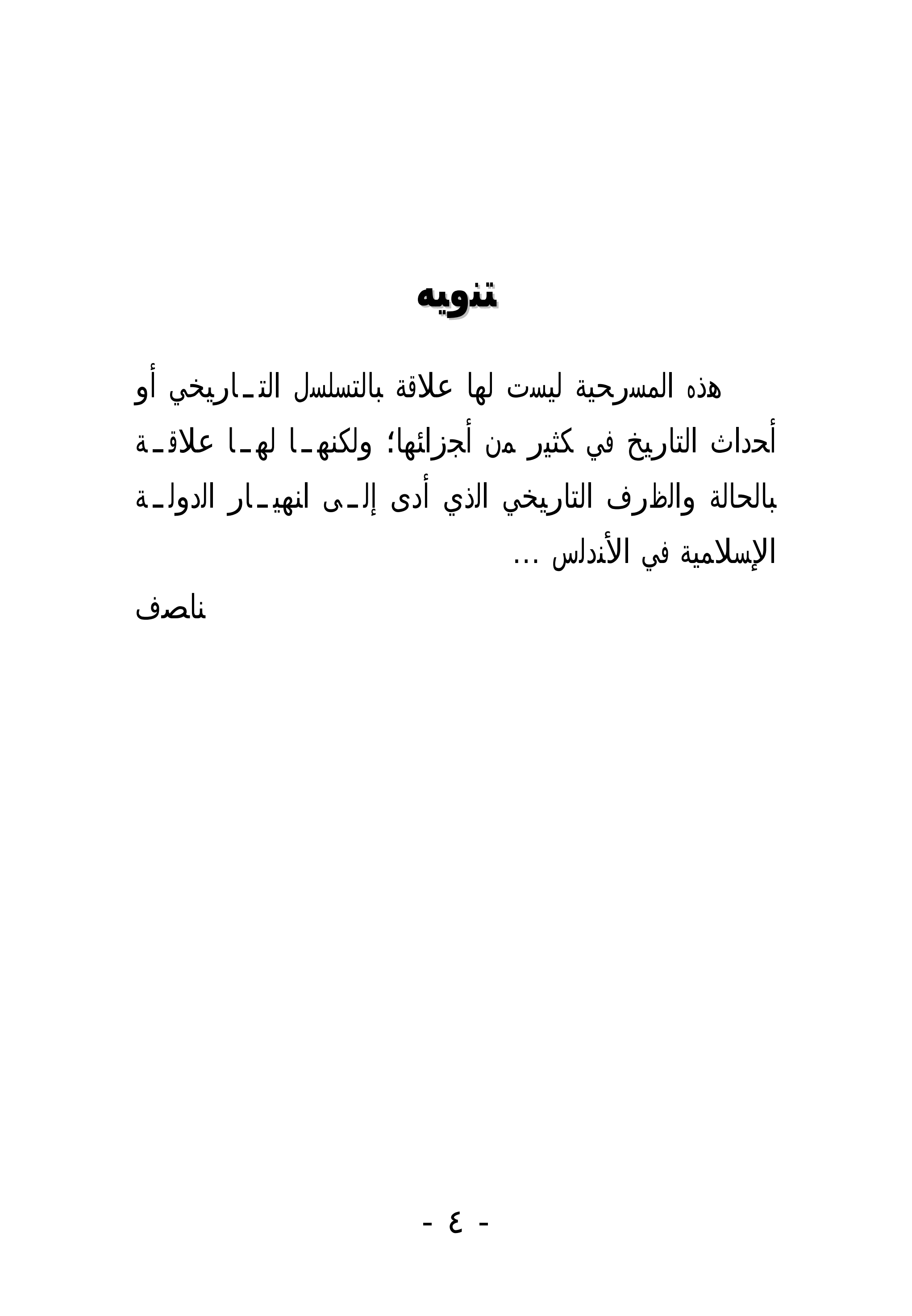
مسرحية

وداعًا قرطبة

محمد عبد الحافظ ناصف

إهداء

* إلى من نسكن إليهم، ونرتاح لهم، ويضحون بالروح لأجل تلك الأمة.
* إلى عالمي الصغير: أمـي وهالـة وأحمـد ورؤى ومصطفى.
* إلى الأصدقاء: يسري حسان، أسامة شفيق، سـاري دويدار، سامي فرة، ومحمد البحيري.



تنويه

هذه المسرحية ليست لها علاقة بالتسلسل التـاريخي أو أحداث التاريخ في كثير من أجزائها؛ ولكنهـا لهـا علاقـة بالحالة والظرف التاريخي الذي أدى إلـى انهيـار الدولـة الإسلامية في الأندلس ...

ناصف



إهداء

إلى فيديل كاسترو:

لم تقدر أم الولد الأمريكية أن تحوله

إلى دمية كخلفاء الأندلس



إهداء أول.. - ٣ -

تنويه... - ٤ -

إهداء ثان .... - ٥ -

فهرس .... - ٦ -

الشخصيات .... - ٧ -

توقيعة أولى... - ٩ -

الفصل الأول.. - ١١ -

الفصل الثاني.. - ٤٨ -

الفصل الثالث .... - ٧٤ -

الفصل الرابع .... - ١٠٢ -

الفصل الخامس..................................... - ١٢٣ -

الشخصيات

- الحكم المستنصر.
- صبح.
- هشام المؤيد.
- محمد بن أبي عامر.
- جعفر المصحفي.
- غالب بن عبد الرحمن الناصري.
- فائق.
- جؤذر.
- زياد بن أفلح.
- قاسم بن محمد.
- عثمان.
- أسماء.
- رجل ١
- رجل ٢
- امرأة.
- شيخ عجوز.

- المغيرة.
- زوجة المغيرة.
- طفل.
- بغي – سكير – بصاص – قائد الحرس.

توقيعة أولى

"بقعة ضوء تسلط على امـرأة جالسـة علـى كرسي أعلى من مستوى الرجل الجالس تحت قدميها" (**موسيقى توحي بلحظة التآمر).**

أم ولـــده[1] : ولماذا أسلم أو حتى أتعرب، لم يطلبها مني أو ينوي ذكرها.

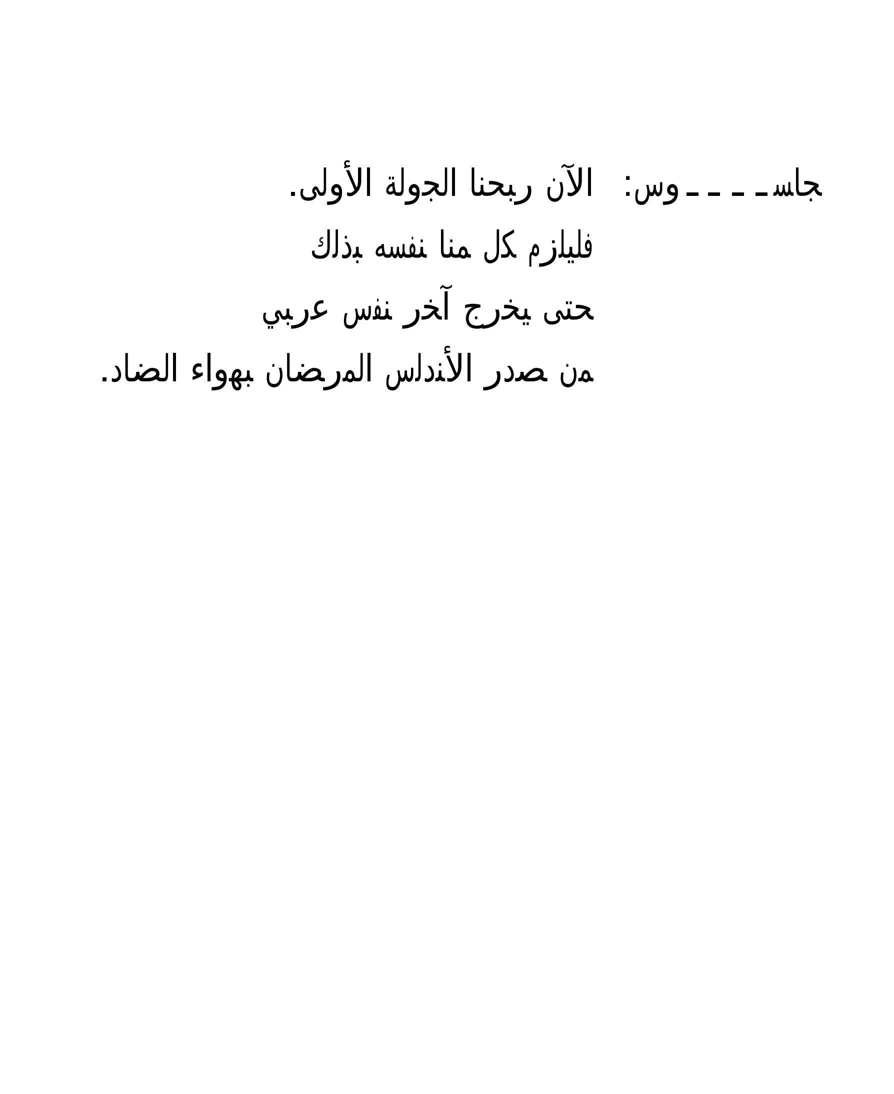
(بخبث شديد)

جاســـــوس: كزيادة في اطمئنان القلب واستقراره حتـى نضمن سيطرتك دوما دون مخاوف أو حتى لذر رماد في عين رعيته.

أم ولـــــد: لا تخش.. فاستقراره فوق النهـدين يكفيـه وكلام رعيته لا يلمس شفة من فيه، والولـد يبحث أيضا عن ابنـة خالتـه كـي نحكـم قبضتنا.. ولنغرقه ووليه في بحر اللذة.

---

(١) أم الولد: هي جارية السلطان أو الخليفة التي تلد له ولداً.



جاسـ ـ ـ ـوس: الآن ربحنا الجولة الأولى.

فليلازم كل منا نفسه بذاك

حتى يخرج آخر نفس عربي

من صدر الأندلس المرضان بهواء الضاد.

الفصل الأول

مشهد (١)

(يفتح الستار عن شارع عربي أندلسي يوجد به بعض الحوانيت، يجلس قدام أحد الحوانيت صاحبه).

رجـــــــل: **(عابرا وبصوت يسمعه الجالس والقادم وكأنه مناد)**
ابن أبي عامر سيمر الآن عليكم
يحمل قصرا من فضة هدية لأم هشام
يحمله من بيته حتى قصر الحكم المستنصر

امـــــــرأة: **(تسير مع زوجها)**
أرأيت هدايا الناس يا زوجي
يا بهلول القلب يا فرحة عمري

رجـــــــل: **(بحدة)**
لو كانت زوجته ما فعل أبدا
لكن الرجل يهادي زوجة سيده
عيناه تأخذه نحو الأفق

المـــــــرأة: عرف كيف يلاف رأس السلطان
ويطوي كل الأخطاء القادمة والسابقة
عرف من أين تأكل كتف السلطة
(يسيران في اتجـاهين مختلفـين ثـم يتوقفان)
(**يظهر محمد بن أبي عامر في أقصـى يسار خشبة المسرح**)
(**يحمل نموذجا لقصر من الفضة تبرق**)
(**تسلط عليه بقعة ضوء فتظهـر جمـال الفضة**)
(يبدو شابا واثقا من نفسه، يشير فـي تؤدة وخيلاء)
خـــــــادم: (**بحدة**)
أفسحوا لأمين خزانة مولانا
يحمل ما يبهج قلب خليفتنا وزوجه
تـــــــاجر: (**لنفسه**)
تقصد أم الولد وليست زوجته
لا فرق الآن، صارت تمتلك رأس خليفتنا

وتسيطر بجمال الشعر ولون العين

وقد أفضل من عود زان

(يفسح الجميع، الكل في حالـة دهشـة كبيرة من روعة تلك الهدية...)

المـــــــرأة: ما أجمله قصرا وما أجمل حامله

شاب تتفتت روح القلب لرؤيته

يتعالى هياما يتسامى في درب محبته

ياه.. لو يجمعنا مكان....

(**بلوعة**) أدفع نصف العمر مقابل ضمة

المـــــــرأة: (**لنفسها**)

من حق جواري القصر أن يفتن.

من حقك صبح أن يشرق في القلب.

(يمر عليها فتزداد لوعة وهياما)

(إظلام)

(تضاء خشبة المسرح عن قصر الخليفة الجالس على عرشه، وتجلس بجـواره صبح أم ولده، يقف بالقرب منهم جعفر المصحفي حاجب الخليفة ووزيره الأول

وفائق رئيس الصقالبة)

جعفر المصـحفي: (**بفخر**)
ابن أبي عامر يتقرب من مولاي بكل ما
يملك لو طال قدم روحه رهـن مشـيئة
مولاي.

صـــــــــبح: (**بتعقل**)
أحسنت أن أحضرته يا جعفر
نراه يخلص في خدمتنا بصدق

جعفـــــــــر: **(يحني رأسه)**
أحضرته لكن مولاتي اختارته
ففضل من يختار يفوق فضل الجالب

الخليفـــــــــة: توفيق ا   فوق كل أمور الدنيا
نرجو أن يحسن حسن الظن
وأن يحفظ نعمة كل من أحسن

صـــــــــبح: (**بنعومة**) مولاي الحكم المستنصر
منك سيتعلم كيف يكون العهد
وكيف ينفذ دوما وعدك

الخليفـــــــــة: (**بهدوء**)

أرجو أن يفعل ما يثلج صدرك

جعفـ ـ ـ ـ ـ ـ ـر: **(بلؤم)**

سيفعل بعد قليل مولاي

(يدخل حارس يمسك سيفه في غمده)

الـحـ ـ ـ ـارس: مولاي، في انتظار رؤيتكم ابن أبي عامر

الخليفـ ـ ـ ـ ـ ـة: فليدخل

ابن أبـي عـامر: **(حاملا هديته، واثق الخطو، كماك)**

هديتي من فضلكم علي لمولاتي صبح

صنعت من الفضة الخالصة

الخليفـ ـ ـ ـ ـ ـة: وحملتها بنفسك في شوارع قرطبة

إعلانًا لخدمتنا ومحبتنا يـا ابـن أبـي

عامر..

وفاء وتواضع نقدره في من يخدمنا

ابن أبـي عـامر: فضل مولاي علينا يجعلنا أسراه نقطـع

أرواحنا إن شاء

فـ ـ ـ ـ ـ ـائق: **(بخبث)**

نعم... صدقت وأحسنت العهد

تُرى كيف صنعت تلك؟

(**يلوي رأسـه**) ومرتبك ما زال ضـئيلا

يتعثر

أذكر أنه خمسة عشر دينارا شهريا

الخليفـــــــة: (**بدهشة**)

كيف.... أنت تستحق أكثر؟

صـــــــبح: **(بوعي شديد)**

لعلك بعت شيئا من إرث

ابن أبـي عـامر: (**بتواضع**)

مولاتي.. أخجل أن أذكر

فعمري كله أدخره لمولاتي صبح

الخليفـــــــة: يزيد مرتبه إلى الضعف.

صـــــــبح: **(تنظر له بولع)**

وماذا لو كان إلى الضعفين

الخليفـــــــة: إلى الضعفين كما قالت صبح حياتي

فائـــــــق: وإشراقة كل بلاد الأندلس يا مولاي

الخليفـــــــة: رجالي يغازلون أم الولد

لكن لا بأس فذلك يسعد مولاكم

تقوم صبح من مكانها كـي تأخـذ

الهدية من ابن أبي عـامر، تسـلط بقعة ضوء ويتجمد المشهد لثـوان، موسيقى رومانسية، يظلم المسـرح إلا من بقعة ضوء تتابعهما بعـد أن يذهبا إلى ركن قصي مـن خشـبة المسرح.

صـــــــبح: **(بخوف عليه)**
احذر من فائق قائد الصقالبة
فليس لديه ولاء إلا للبيت الأموي
يقاتل ورجاله حتـى نفسـه مـن أجـل المستنصر

ابن أبـي عـامر: وأقاتل روحي من أجلك مولاتي
من أجل أن يرضى عني طرف الثوب
أنا ملك يمينك، أسرتي ريشة تتحرك بين أصابع مبدعة
أغنية عذبة تحلي أوقاتك ساعة كرب
سيفًا يتراقص فوق رءوس الأوغاد ساعة غدر

صـــــــبح: **(بشوق)**

أنت شروقي وصبحي بعد الليل

أنت هدية ربي بعد الجدب

فاحذر حتى من نفسي ومن نفسك

ابن أبـي عـامر: من نفسي أحذر لكن من نفسك.. لا

من نفسك قرب وأمان أعرفه

(تضاء بقعة ضوء ثانية على فائق مـع الخليفة الحكم المستنصر كأنهما يتآمران ولكن بلا صوت..)

(موسيقى)

فـــــــــائق: **(بخبث)**

مولاي.. أعرف أنك تـرفض تخـوين الناس

ما أطلبه سؤالا يريد جوابا

من أين له بصنع هديـة رغـم مرتبـه الضحل

لو طلبت جرد خزينته وشهدنا رد الفعل

سنلاحظ حتما من عينيه الرد...

يقترب ابن أبي عامر وصبح من الخليفة

الخليفـــــــــة: (**بلطف**)

أهلا بموظفنا الطيب وأمين خزانتنا

نريد مكافأتك بمنصب أكبر

كي تبقى بجوار مولاك الحكم

صـــــــــبح: (**تتهلل**)

نعم الرأي مولاي

الخليفـــــــــة: (**بلطف أكثر**)

جهز خزينتك للجرد كي يستلمها آخر

وجهز نفسك لمنصب آخر يسعدك

صبـــــــــح: هو جاهز لخدمة سيده دوما

ابن أبـــي عامـــر : **(دون تردد)**

حين يريد مولاي الجرد ستسعده أمانـة خادمه

الخليفـــــــــة: **(برجاء)**

لا شيء يسعدني منك أكثر من ذلك

فـــــــــائق: **(بلؤم)**

ويسعد كل خلافتنا أمانة صاحبنا

أستأذن مولاي لمتابعة جنودك
(**يخرج**)

ابن أبـي عـامر: (**برجاء**)
وأطلب إذن مولاي كي يسـعد بأمانـة خادمه

الخليفـــــــة: (**يقف**)
تفضل.. (**ينزوي بنفسه**)
ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا
حتى ملك قلوبهن مع اجتمـاع زخـرف الدنيا عندهن
صرن لا يصفن إلا هداياه
ولا يرضين إلا ما آتاه
إنه لساحر عليم أو خادم لبيب
وإني خائف على ما بيده
لكني لا أرضى الظن والظلم
لعله يكشف نفسه سريعا

ابن أبـي عـامر: (**يخرج**)

(**لنفسه**)

كيف أدبر نقص خزانتي؟؟

وكيف أواجه هذا الفائق قائد جنده

لا أحد غير صديقي.. (**يدور**)

نعم.. ابن حدير... ابن حدير

مشهد (٢)

"في قصر الخلافة بقرطبة، توجد صـبح بمفردها، تتحرك هائمة فـي طرقـات القصر"

صـــبح: **(هائمة)**

آه.. ما أقسى ساعات العطش

بعد جفاف منابع دفء الكلمة

الآن يفكر سيدك فيمن يخلفه

تتحوطه تلك الفكرة المجنونة

تقطع أنفاسه تحيل الجسد النشوان لبرد

آه.. لو يعرف أن إشعال الجسد بدون الماء جنون

وأن ملاعبة الجزء المشلول فنون

قطرة قد تطفئ نارا

نارا تتأجج بين ضلوع

(تنظر لهدية ابن أبي عامر)

قصر من فضة يتلألأ

يتلألأ داخل نفس ظمأى

يشرق داخل نفس مظلمة

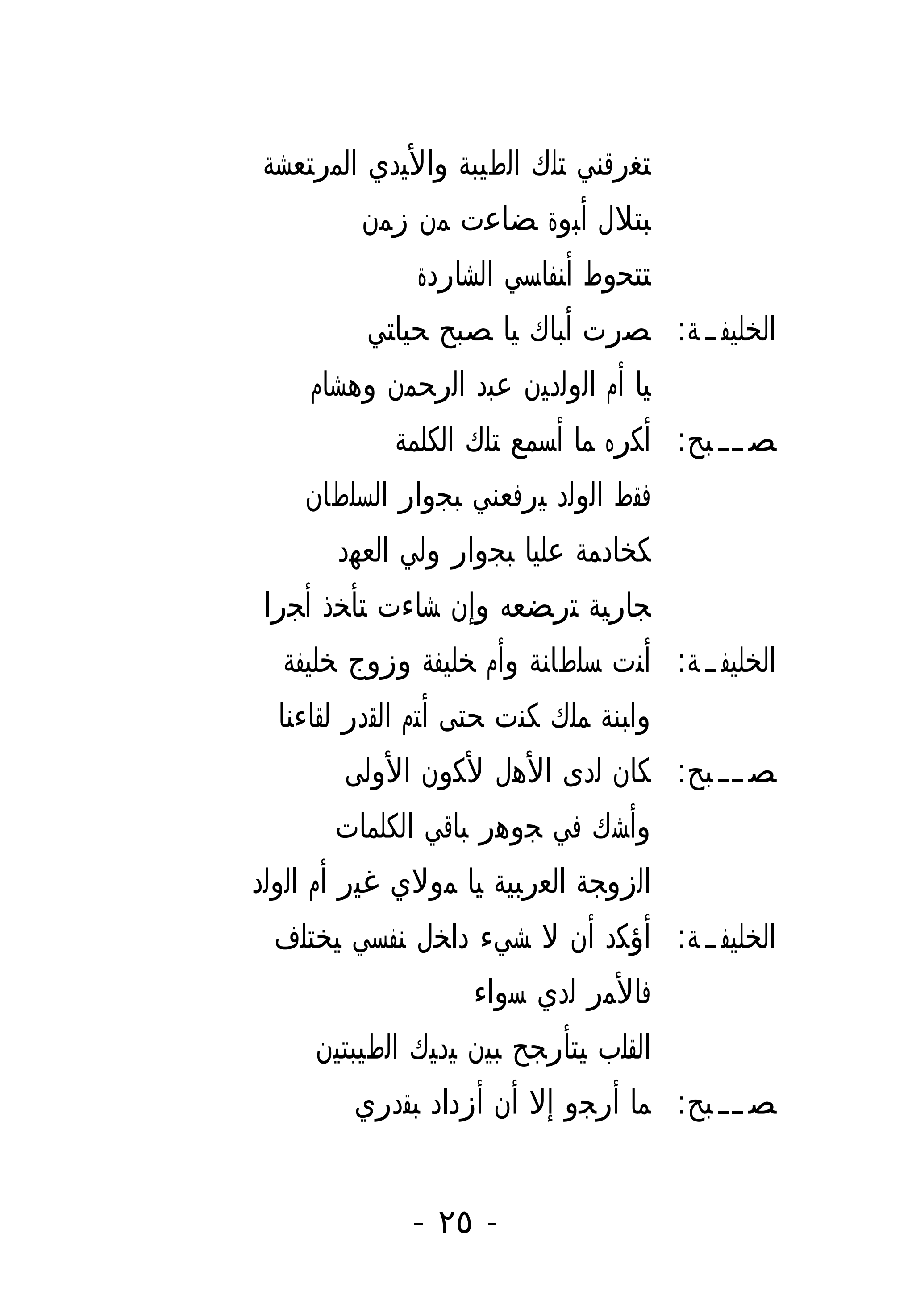
يئست من بحث الآخر لنهاية رحلة
كي يذهب وحده
لم يعبأ حتى بنزول الآخر معه
آه.. ما أقسى ساعات العطش
بعد جفاف منابع دفء الكلمة
آه.. لو كنا نحكم أنفسنا
أه.. لو كنت أختال بقصري
يتحوطني دفء مشاعر خدامي
لكن صرت أم الولد
(تتنهد) أم الولد لشيخ يتأهب
كي ينسلخ.. بروحه..

الخليفـة: "يدخل فلا تشعر به، يقترب منها، يربـت علـى ظهرها، تلتفت له هائمة..."

صـــبح: مولاي الحكم المستنصر
سيد نفسي الظمأى

الخليفـة: تتطاير نظرات النشوة من عينيك
كأنك هائمة، عائمة في بحر اللذة

صـــبح: تأخذني أمواج الشوق إليك



تغرقني تلك الطيبة والأيدي المرتعشة

بتلال أبوة ضاعت من زمن

تتحوط أنفاسي الشاردة

الخليفـة: صرت أباك يا صبح حياتي

يا أم الولدين عبد الرحمن وهشام

صبـح: أكره ما أسمع تلك الكلمة

فقط الولد يرفعني بجوار السلطان

كخادمة عليا بجوار ولي العهد

جارية ترضعه وإن شاءت تأخذ أجرا

الخليفـة: أنت سلطانة وأم خليفة وزوج خليفة

وابنة ملك كنت حتى أتم القدر لقاءنا

صبـح: كان لدى الأهل لأكون الأولى

وأشك في جوهر باقي الكلمات

الزوجة العربية يا مولاي غير أم الولد

الخليفـة: أؤكد أن لا شيء داخل نفسي يختلف

فالأمر لدي سواء

القلب يتأرجح بين يديك الطيبتين

صبـح: ما أرجو إلا أن أزداد بقدري

عند مولاي السلطان لقدري

ويكفي ما شوفت من قدري

الخليفـة: قدرك عالٍ عند المستنصر يا أم الولد

نفس القدر لنفسي وزيادة

(إظلام)

مشهد (٣)

(في بيت "ابن حيدر" يتواجد معه "ابن أبي عامر"..

ابـــــــــن حيـدر: أهلا بالناسي دائما أصحابه

ابن أبي عـامر: وها جئت إليك صديقي
كي تنقذني من الورطة
اجتمع علي صقالبة القصر
يريدون جرد خزينتي
يشعرون بأني قريب من قلب خليفتنا
وأني صرت لديه محبوبا

ابــن حيــدر: وأنك سوف تصعد دون عوائق
وقد تمنع جزءا من سلطتهم في المستقبل

ابــن عــامر: كيف؟! لا أمتلك شيئا إلا وظيفة
وبعض دارهم ما تلبث حتى تطير

ابــن حيــدر: كيف؟!.. وصارت تسـتلطفك كـل نسـاء القصر حتى صبح أم ولي العهد القادم

ابن أبي عـامر: ولي العهد.. والمغيرة

كيف!! والأمر سيسير لشقيق المستنصر

ابــن حيــدر: أي شكوك تمنع هذا ستحارب

بدءا من مولانا السلطان وصبح في جانب

وصقالبة القصر في جانب آخر

ابـــن أبــي عامـر: وأنا...

ابــن حيــدر: أنت مع من تحب..

وتحبك كل نساء القصر..

وتستلطفك صبح زوج المستنصر

صار جانبك معروفًا يا هذا

ابن أبي عـامر: آه.. يبدو أني في ورطة أكبر

وعلي أن أثبت طهر اليد

علي أن أكسب ثقة الحلفاء الأول

قبل أن أثبت للخصم أني نظيف

وإلا سوف تأكلني كلاب الأندلس

ابـن حيـدر: والمطلوب.. مني يا صديقي وقت الحاجة!

ابن أبي عـامر: أنفقت بعض المال لشراء قلوب نساء القصر

بهدايا أنزفت الخزنة قليلا..
مطلوب مني الآن أن أستر ذلك

ابـــن حيـــدر: حسنًا..
لأني أعرف أنك سوف ترد
وأن رهانك دائما كسبان
وحتى لو خسر ستكون هناك مكاسب
سأعطيك هذه المرة لوجه طموحك
لكن عليك أن ترعى شرف خليفتنا
فالأمر ليس يسيرا يا بن أبي عامر
"يفتح خزينته ويعطيه ما يريد من نقود"

ابن أبي عـامر: سأفعل.. والآن عرفت بعض خصوم
فائق وصقالبة القصر أول من أبدأ.

(إظلام)

مشهد (٤)

يتواجد جعفر المصحفي وابن أبي عامر فـي قصر الخليفة الحكم المستنصر، تتواجد صبح وفائق قائد الصقالبة..

جعفر المصحفي: **(بثقة)**

جئنا ببراءة ذمة خادم مولانا

ذمته أنصع من بياض الثوب

في وجه الشمس ساعة ظهر

(يتهال وجه صبح ويتغيـر وجـه فـائق ويرتاح وجه الخليفة ويقلق وجه ابن أبي عامر)

صـبح: قلت إن صاحب هذا الذوق العالي

فنان لا يمكن أن يخطئ في بعض دراهم

وحتى لو ضاعت بعض دراهم

يكفي لهفته لراحة قلب خليفتنا

الخليفـة: أحسنت قولا يا صبح خلافتنا

مقدار رجالي فوق أوزان البشر

المصـ ـ ـ ـحفي: ما أحضرت لسيدنا لم يخدش ذمته شيء
أضمنه بهذي الرقبة عمرا (**يشير لرقبته**)

فـ ـ ـ ـ ـ ـ ـائق: (يضع يده اليمنى على مقبض سيفه)
ما نرجوه دوام الحال يا وزير خليفتنا
رغـم أن دوام الأمـر محـال.. لكـن..
(**يصمت**)
رقبة جعفر تضمن ذمته.

أبـ ـي عـ ـامر: (**بخبث شديد**)
نفسي مقابل درهم إن ضاع
ولتحفظ رقبة وزير خليفتنا
فالكل معلق من عرقوبه.. سيدي
ما أرجوه رضاء سيدي الحكم المستنصر

الخليفـ ـ ـ ـ ـة: راض عنك ما دمت تخلص

صبـ ـ ـ ـ ـ ـ ـح: وتراعي ما استأمنك عليه خليفتنا

أبـ ـي عـ ـامر: سيكون الإخلاص طريقي الأوحد
ومراعاة أمانته هدفي الأسمى
(**يتحرك فائق ليقـف فـي اتجـاه آخـر بمفرده.. بينما يتواجد ابن أبـي عـامر**

وجعفر وصبح في تشكيل يوحي باتحادهم ضد فائق قائد الصقالبة بينما الخليفة في عمق خشبة المسرح)

بقعة ضوء تسلط على فائق...

فـــــــــائق: (**لنفسه**)

أرى لغة واحدة صارت في القصر

اجتمع شتات القول بعد الفرقة

ترى.. ماذا يجمع أم الولد وجعفـر وهـذا الشاب؟!

سأعرف حتما.. وسأضرب كل تجمع ضد الحق

آه.. لو كانت ضد خليفتنا

سأجعل حلم الموت بعيد منال

ريحا يرجوه النبت العاقر

ماء ترجوه الأرض البور

(يدخل أحد الجنود صارخا، يقترب الجميع ثانية بجوار الخليفة الحكم المستنصر...)

الجنــــــدي: (**بلهفة**) سيدي خليفة المسلمين

الخليفـــــة: ما خطبك أيها الجندي
الجنـــــدي: بالباب فارس الأندلس
الخليفـــــة: **(يقوم من مجلسه)**
حضر غالب بن عبد الرحمن الناصري
حضر من سيؤدب الخارجين علي
جعفـــــــر: هو لها يا مولاي
من يستطيع إخضاع المغرب
من سيوقف امتداد نفوذ الشيعة
إن الفاطميين يريـدون السـيطرة علـى المسلمين
ابن أبي عـامر: لا مذهب غير السنة
المذهب السني هو الذي سيكون في الجنة
وأنت الآن المدافع عنه يا مولاي
والمدافع عن سنة رسول ا
صلى ا عليه وسلم (**يبدو خاشعا**)
صـــــــبح: الأندلس امتداد طبيعي للمغرب
والمغرب امتداد للأندلس
لذا وجب السيطرة عليه

الخليفـ ـ ـ ـ ــة: أدخله علي فأنا أشتاق لرؤيته

(يشير له بالانصراف)

"يدخل غالب مهيب الطلعة

موسيقى تناسب دخوله، حركة غير عادية

يقترب منه فائق قائد الصقالبة فـي بدايـة

دخوله ثم يأخذ بيده إلى الخليفة الواقف في

مكانه أمام العرش"

غالـ ـ ـ ـ ـ ـب: **(يحيي الخليفة في ود شديد)**

سعدت بشرف مقابلة مولاي

الخليفـ ـ ـ ـ ــة: ونحن سعداء بمجهودك في الثغور الشمالية

في دحر أعداء الأمة الإسلامية

والحفاظ على حدودها من المغيرين

غالـ ـ ـ ـ ـ ـب: نحن يدك التي تضرب بها أعداء ا

وأرواحنا رخيصة فداء لاستقرار الأمة

الخليفـ ـ ـ ـ ــة: نعم الاستقرار روح الدولة

وروح الدولة قلقة في الجنوب

عند المغرب حيث المد الفاطمي

فـ ـ ـ ـ ـ ــائق: نحاول أن نجتذب رءوس القبائل هناك

نسيطر على سبتة وطنجة ومليلة

الخليفـ ـ ـ ـ ـــة: لأنها أهم المدن في المغرب

تقصد كما فعل الناصر أبي رحمه ا

فائـ ـ ـ ـ ـ ـ ـق: نعم..

الخليفـ ـ ـ ـ ـ ـة: لم يكن الفكر الفاطمي يتزايد وقتها

صـ ـ ـ ـ ـ ـ ـبح: والفكر أكثر صعوبة من أي شيء

لو دخل قلب الرجل ما خرج أبدا

وسوف يسير في أوردته وشرايينه

غالـ ـ ـ ـ ـ ـ ـب: وشمال الدولة يا سيدتي

الفرنجة يشعرون بأننا سالبون أرضهم

ولن يرتاحوا حتى نرحل منها

جعفـ ـ ـ ـ ـ ـ ـر: علينا بترتيب البيت أولا

ابن أبي عـامر: (**بخبث**)

حتى نحتشد لهم أكثر يا فارس الأندلس

ثم إن الثغور الشمالية مستقرة الآن

والجنوب في حاجة لك حتما

الخليفـ ـ ـ ـ ـــة: كلام جعفر وابن أبي عامر وصبح مهـم

جدا

نرتب البيت أولا ثم نكافح الشمال ثانية

فـــــــــائق: الشماليون الفرنجة أشد ضراوة

ويجمعهم إحساس واحد

وحلم واحد يتأجج فيهم

لن يخمد أبدا مهما قدمنا يا مولاي

هذه الأرض عاصية دومـا وأخشـى أن تنقلب علينا

الخليفـــــــة: كلامك مهم لكني مع ترتيب البيت

يذهب غالب للمغرب يؤدبهم هناك

غالـــــــب: (**بخضوع**)

الأمر لك يا مولاي.. فنحن سيوفك

الخليفـــــــة: فليساعدك ربي ويعلم أني أريد الخير

أريد نشر فكر الإسلام الصحيح

بين رعيته وبخاصة هذه الأرض العاصية.

(**إظلام**)

مشهد (٥)

تحتضن صبح ابنها هشام المؤيد، بقعة
ضوء خافتة عليهما.. موسيقى.

صـــــــــبح: ما أصعب أن تنجب ابنًا للوحدة
يرجوه الوالد عونًا رغم اليد الخضراء
والأسنان اللبنية القادرة على مضغ الزبد
بالكاد
إنجاب أطفال – ساعة تصبح شيخًا.
حملٌ تتركه لغيرك
ولن تحمله غير الأيام القاسية
تتهدده عيون الشر الآثمة
يهدهده دوما قلب الطامع في الأم
الطامع أحيانًا في الملك
الراغب في المال الموسوم باليتم
لكن.. (**تتسع بقعـة الضـوء وتكبـر.. وتترك الولـد، يتحـرك ليـدخل قلـب المسرح...**)

لن أترك ابني تؤرجحه ريح اليتم

لن أترك أيدٍ تبغي ثوابا من مسحة شعره

سيكون الواهب رغم حداثة سنه

سيكون النور تلف حواليه فراشات تحرق

سيكون ولي العهد بعد الشيخ

لن يتسرب أمر الدولة من يدنا

فأجداده أصحاب الأرض الأصليين

وعليه أن يحكم أرضه

والكل حواليه.. جوار وعبيد

فشمالا أخواله أصحاب الدار

وجنوبا أعمامه أصحاب الدم.

(يدخل عليها الخليفة الحكم المستنصر)

الخليفـــــــة: يجري إليه هشام يحتضنه

أهلا بنور العين

بالجزء الباقي مني بعد الجدب

وبعد رحيل العين الأخرى عبد الرحمن

صـــــــــبح: الحمد .. أخذ منا وأعطانا

علينا أن نرعى نعمتـه ونحمـي العـين

(**تشير لهشام**) آه لو يبقى خليفـة هـذي الأرض من بعدك (**يدور حول الخليفة**)
(**بدلع**) فلم لا تعطيه ولايـة عهـدك يـا مولاي

الخليفـــــــة: (**بحدة**) والمغيرة أخي سوف تنقسم نفوس البيت الواحد
سوف نصير أشتاتا يتوافد علينا القرضة
وسوف يضيع دين ا في هذه الأرض
أشعر أن الأمر صعب
فولاية العهد في الأخوة
ثم يأتي الابن الأكبر لكل واحد منا
هل نضمن أن يجعلها المغيرة كذلك

صــــــــبح: وألا يجعلها لولده من بعده...
احسمها أنت يا مولاي الآن
(**يدور حول نفسه**)

الخليفـــــــة: لا أضمن ذلك، القلب بين أصـابع ربـي يتقلب،
والولد صغير لن يقوى أن يتحمل شيئا

(**بفرح**) أنت قلتها. هو صغير ما زال

صـــــــــبح: دعه يترعرع في عزك يا مولاي

وسيتعلم منك فنون قيادة تلك الدولة

أن يشعر بثقة الوالد فيه سيقوى

(**يفكر.. يعود يجلس في مكانه**)

الخليفـــــــة: هذا الكرسي سيكون لولدي من بعدي

(يضرب بيديه على مسندي العرش)

وليعذرني الناصر أبي

وليعذرني أخي وصقالبة القصر

(ينادي بصوت عالٍ)

يا حارس.. يا حارس.

(**يدخل مسرعا متلهفًا.**.)

الحـــــــارس: مولاي..

الخليفـــــــة: اذهب واحضر جعفر المصحفي وابن أبي عامر

الحـــــــارس: **(يخرج مسرعا)** حاضر مولاي

صـــــــــبح: **(بحماس وتشجيع)**

أحسنت المستشارين يا مولاي

هما فعلا سيفان بجوار هشام

حكمة شيخ وفتوة شاب

الخليفـــــــة: وحرص أم على مصلحة الابن

ما أرجو ألا يضيع بينكما

صـــــــبح: كيف يضيع في حضني يا مولاي؟

كيف والقلب وعاء يحميه

ونفسي روح تهديه

ورمش العين رماح تفديه

والأجفان ستائر تمنع عنه كل السوء

(يدخل الحارس مسرعا)

الحـــــارس: حضرا بالباب يا مولاي

الخليفـــــــة: أدخلهما فورا. **(يخرج الحارس)**

أرجو أن يكونا كما قلت يا صبح

صـــــــبح: سيكونان بإذن ا

(يدخلان)

الخليفـــــــة: أهلا برجالي الأخيار

جعفـــــــر: النفس فداك يا مولاي

ابن أبـي عـامر: فتأمر وسنأتيك بأضغاث الأحلام

حقائق واضحة بين يديك مولاي

الخليفـــــــة: **(بهدوء)**

أعرف أنكما أخلص من في القصر

أريد أن أعطي ولاية عهدي لهشام

جعفــــــــر: لكنه ما زال صبيا مولاي

ابن أبــي عــامر: كيف سيدي وزير خليفتنا؟!

سيكون فوق رءوس كل رعيته

حفيد الناصر وولد المستنصـر مـولاي

خليفة منذ نعومة أظفاره

يعرف كيف يسوس الغزلان الشاردة فـي صحراء الأمة

يعرف كي يجمع كل القاصي والداني

مولاي الناصر صار خليفة في العشرين

والكل أيده حتى من كان فوق الستين

الدنيا تتقدم يا مولاي

وهشام المد القادم للناصر ولمولاي

صــــــــبح: **(بدهشة وإعجاب شديدين)**

ياه.. تحتاج الأمة حتما لرجاحة عقلك

الخليفـــــــة: (**بإعجاب**)

أحسن ما صنع جعفر أنت (**يشــير لابــن أبي عامر**)

قلت الفصل دون صعوبة

فهمت الدرس سريعا يا عامر

(**لهشام...**)

امدد يدك بني حتى نبايع

(**يمد هشام يده ويقبلها جعفر وابن أبــي عامر**)

جعفــــــــر: (**بتثاقل قليل يقبلها**)

أبايع هشاما.. لولاية عهد خليفتنا

أبايعه على كل السمع والطاعة

والوقوف بجواره حتى آخر نفس في

الخليفـــــــة: (**بفرح**) أحسنت يا جعفر

(**يتقدم ابن أبي عامر**)

أبـــو عـــامر: أبايع مولاي هشاما على الطاعة

وبيع الروح رخيصة فداء له

الخليفـــــــة: ترى من سيمانع في الأمة؟

أبـــو عـــامر: **(بخبث)**

كثر يا مولاي هم

الخليفـــــــة: تقصد من؟

أبـــو عـــامر: **(بخبث)**

أخشى صقالبة القصر

قد يعترضون أو حتى لا يقفون بجواره

الخليفـــــــة: أكثر ما أخشى حرب الأهل

فحديد القوم يفل حديده

وجنوب الدول في قلق دائم

(آهٍ. ويمسك قلبه)

صبـــــــح: مولاي.. ما بك؟

الخليفـــــــة: **(بتعب شديد)**

لا شيء.. فلندع الناس قبل الحكم عليهم

ولعل أمور الدولة تسير

تتدفق كالماء في نهر سالك

جعفـــــــر: أنا مع رأيك يا مولاي

قبل أن نسبق أحداث الغد

لعل القادم خير يرجى.

الخليفـ ـ ـ ـ ـ ـ ـة: **(بتعب شديد)**

لعله يا جعفر.. **(يحتضن هشاما)**

لعله يا جعفر.

(إظلام)

مشهد (٦)

"يرقد الخليفة مريضـا فـي فراشـه
وحوله صبح وهشام...."

الخليفـ ـ ـ ـ ـة: أرسلوا المنادين في أنحاء قرطبة يـدعون الناس لبيعة هشام

صـ ـ ـ ـ ـ ـبح: خرجوا فعلا يا مولاي منذ الصباح، وبـدأ الناس يتوافدون على القصر.

(يسمع صوت المنادي ينادي)

المنـ ـ ـ ـادي: يا أهل قرطبة.. يا أهل قرطبة بدعم من ا
وبمباركة من خليفته في الأرض
يدعوكم مولانا المستنصر
لمبايعة الأمير هشام
وليا للعهد وخليفة لكم من بعده
ومن خالف ذلك أو اعترض
فقد خالف ا ورسوله وولي الأمر
وأطيعوا ا ورسوله وأولي الأمر

الخليفـ ـ ـ ـ ـة: والآن يرتاح القلب ويستقر في الجوف

وتهدأ نفسي القلقة على الصغير

صـــبح: اهدأ يا مولاي واطمئن بالا

فالآن صار الولد ولي العهد

ويبايعه كل رجال الدولة

ولن يجرؤ أحد أن يأخذ منه البيعة

الخليفـــة: (**بصوت متهدج**)

الآن يرتاح القلب

ولتغمض عيني هانئة مرتاحة

(ويغمض عينيه وينام)

صـــبح: آهٍ.. لو كنا ما زلنا نحكم أنفسنا

آهٍ.. لو كنت أختال بقصري

يتحوطني دفء مشاعر خدامي

لكن صرت أم الولد لشيخ يتأهب

كي ينسلخ بروحه

ويتركني أعاني برودة تلك الحجرة

(**يسمع صوت المنادي**)

المنـــادي: يا أهل قرطبة... يا أهل قرطبة.

(إظلام)

الفصل الثاني

مشهد (١)

تضاء الخشبة إضاءة خفيفة مرتعشة، يسمع صوت بكاء مكتوم وصرخة واحدة تعبـر عن موت الحكم المستنصر، تحتضن صبح هشاما بشدة، موسيقى حزينة.

صـــــــــبح: **(بصوت متهدج)**
صرتِ الآن وحيدة بين جموع رجال.
فاقوي كي لا تتخطفك الطير وتصيرين
مباحا يطمع فيك كل الداني والقاصي.

هشـــــــــام: (**بضعف**)
ماذا تقصد أمي؟
ألم يبايعني رجال الدولة؟
ألم تقبل تلك اليد؟

صـــــــــبح: يا ولدي (**بحنو**)
نعم.. غمد السلطان سيفا
يتلألأ فوق رقاب الكل
يخشاه الفرسان في أحلام الليل

ويتحسب بطشه حتى الصالح

هشــــــــام: هل يتهددنا الخوف يا أمي

صـــــــــبح: يا ولدي.. فأنت صغير

ومن سيترك ملكه؟ عمك!

لا أخشى تلك اللحظة ولكن

أخشى المستقبل ساعة تفقد كل الأهل

هشــــــــام: **(ببكاء)**

آه يا أبتي..

كيف أواجه هذا العالم

والطامع في وفي أمي كثير

(يزداد بكاؤه)

صـــــــــبح: **(بتشجيع)**

تصلب يا ولدي واشدد عودك

كي لا تتخطفنا سباع الليل

أنت ستصير خليفة هذي الأمة

وأنا ورجال القصر حواليك.

تصلب كي لا يشمت فينا صقالبة القصر.

(في ركن قصي يقـف فـائق وجـؤذر

تتابعهما بقعـة ضـوء بعـدما تنحسـر الإضاءة عن صبح وهشام)

فـ ـ ـ ـ ـ ـ ـائق: مات خليفتنا في صمت
والآن تعد العدة لسرقة ملكه

جـ ـ ـ ـ ـ ـؤذر: كيف ستكون الأحوال؟
هل يصبح هذا الطفل خليفة؟
سوف يتفرق ملكه بين الطامع والطامح
وأخشى أن يتخطفنا نسور الشمال

فـ ـ ـ ـ ـ ـ ـائق: أخطأ مولاي حين تعجل شيئين:
الأول: سحب غالب قواته للجنوب

جـ ـ ـ ـ ـ ـؤذر: والثاني: حكم عاطفته في ملك رجال
أرى أن يظل هشام وليا للعهد
وأن يحضر فورا المغيرة عمه

فـ ـ ـ ـ ـ ـ ـائق: والناس.. يا جؤذر

جـ ـ ـ ـ ـ ـؤذر: الناس تعرف أن خليفتنا السابق
اغتصب ولاية العهد لابنه
علينا الآن أن نصحح أوضاع القصر

فـــــــــائق: إذن فلنحكم هذا القصر أولا

ولنكتم خبر الموت لحين حتـى يحضـر المغيرة

(يصفق بيده مـرتين، يحضـر جنـدي بسرعة)

جنــــــــدي: لبيك سيدي القائد

جـــــــــؤذر: أغلق أبواب القصر جيدا

النفس الخارج يعرف قبل الداخل

اليوم الخطأ برأس.. بلغ باقي الجند

الجنــــــدي: لن تخرج خاطرة من هنا حتى نعرفها

فـــــــــائق: هذا هو المطلوب منكم بالضبط

ولتكتم أيضا كل الأصوات داخل حناجرها

الجنــــــدي: لا يبقى إلا رجل عاقل ينضم إلينا

نأخذ رأيه ويكون واجهة الموقف

حتى يعرف كل الناس أننا نريد مصلحة الأمة

فـــــــــائق: لا أحد غير المصحفي

رفيق درب الخليفة وصديقه الأول

وأبدى قليلا من خوف.
ساعة عرضوا عليه عهد هشام
لكنه لم يجرؤ أن يعترض
ساعة أعلن تلميذه كل الترحيب

جـــــــؤذر: تقصد الشاب ابن أبي عامر

فـــــــــائق: أقصد والخطر القادم إن لم يستأصل

(يصفق بيـده ثانيـة فيـدخل الجنـدي بسرعة)

الجنـــــــدي: أمرك سيدي القائد

فائـــــــــق: اذهب وأحضر فـورا الـوزير جعفـر المصحفي

الجنـــــــدي: حاضر يا مولاي.

(ويخرج بسرعة)

تضاء بقعة ضوء على الجانـب الآخـر حيث صبح وهشام معا..

صـــــــــبح: **(تنظر من نافذة)**
انظر.. أرى جنودا كثيرة حول الأسوار
حركات غير عادية تحدث

(**تهرع نحو بابها تفتحه...)**

(تحاول أن تفتحه لكن لا يفتح)

يا حراس.. افتحوا الأبواب

أمسجونان في غرفتنا؟

هشـــــــام: لعله تأمين، خوفًا من أحد ما علينا

صـــــــبح: يا ولدي.. كنا نعرف أن الباب مغلق علينا

حق من يحمى أن يعرف كيف يتم الأمر

هشـــــــام: أنحن مسجونان في تلك الغرفة

صـــــــبح: إني أتوقع ذلك من فائق وصقالبة القصر

أخشى ما أخشاه أن نجد المغيـرة فـوق الرأس

هشـــــــام: **(بخوف)**

ياه.. ترى ماذا يفعل عمي بي؟

"تنتقل بقعة الضوء إلـى فـائق وجـؤذر اللذين يتآمران للإطاحة بهشام"

الجنـــــــدي: **(يدخل مسرعا)**

مولاي.. في الطريق مولاي جعفر

جـــــــؤذر: (**بفرح**)

أدخله بسرعة

(يدخل جعفر المصحفي)

أهلا بوزير خلافتنا ومفكرها الأول

جعفـــــــــر: **(بقلق شديد)**

أمولاي الحكم بخير؟!

فـــــــــائق: **(يتقدم نحوه ويربت على ظهره)**

مولانا الحكم المستنصر بجوار ا

لكنا نكتم هذا الأمر حتى يتم ترتيب البيت

جـــــــــؤذر: وإعلان خليفتنا للناس

جعفـــــــــر: **(يجهش بالبكاء)**

تقصد تولية هشام ولي العهد

حتى يخرج للناس خليفة

يتقبل كل عزاء الدولة

فـــــــــائق: (**بحدة**)

لا لم أقصد ذلك أبدا.

بل أقصد صاحب هذا الحق الأصلي.

جعفـــــــــر: (**بلؤم**)

المغيرة أخو الحكَم المستنصر

جـــــــــؤذر: **(بدهشة)**

أوليس صاحب هذا الحق

جعفـــــــــــر: هذا ما أوصي به الناصر مولانا

مؤسس تلك الدولة الأموية

ومجدد هـذا الـدم العربـي فـي أوردة

الأندلس.

(بلؤم شديد)

فـــــــــــائق: هل تقبل أن جارية إفرنجية

كانت بالأمس عدوة للأمة تتولى الأمر؟

هل تقبل ذلك يا أكبر رأس بعد خليفتنا؟

جعفـــــــــــر: **(بلؤم شديد)**

سنصير أضحوكة كل ولاة الإفرنج

وماذا يخبئ قائد قصر خليفتنا؟

جـــــــــؤذر: فلنحضر صاحب هذا الحق

ابن الناصر حتى يسلك مسلك والده وأخيه

جعفـــــــــــر: وماذا تريدان مني يا قائدي القصر؟

فـــــــــــائق: **(بهدوء)**

تأييدك حتى يتم الأمر في هدوء

جعفـــــــــر: إني معكما في فعل الخير
لكني أختلف في نظرتكما لصبح
قد صارت مسلمة وأما لولي العهد
ولها علينا واجب العزاء
وحفظ كرامتها وابنها من كل سوء
جـــــــــؤذر: **(بتأكيد وهو يهز رأسه)**
دون أدنى شك هذا وجه حضارتنا
وجلاء أمر أمتنا
وتفوقنا على أجناس الأرض
جعفـــــــــر: إذن أين هي وابنها؟
فائـــــــــق: بغرفتها عزيزة مكرمة
جعفـــــــــر: **(بثقة)**
الآن أعلنها صراحة أني معكما
حتى يكتمل صرح بناء الدولة
بخليفة تهتز له كوامن أعداء ا
جـــــــــؤذر: (**بثقة**)
نرسل في طلب خليفتنا المغيرة
فـــــــــائق: ولنحضره إلى قصره بسرعة

سأذهب لأكون في ركبه

جـــــــؤذر: وسأرتب في استقباله كل الأشياء

جعفـــــــــر: وأنا سأمهد كل رجال الدولـة وأخبـرهم بأمر

موت الحكم المستنصر

وتنفيذ وصية مولانا الناصر يتـولى الأخ

بعد الأخ كخليفة وليس الابن هشام...

(إظلام)

مشهد (٢)

في قصر جعفر المصحفي، اجتمـع
كل رجال الدولة، محمد بـن أبـي
عامر وزياد بن أفلح مولى الحكـم،
وهشام بن عثمان من زعماء البربر،
وجميع من يؤيدون تولية هشام.

جعفـــــــر: الليلة يأكلنا شيئان
إن لم يستيقظ قلب الجمع
إن صرنا أشتاتًا سنضيع
وتضيع معنا كل مكاسب تلك الأمة
ابن أبـي عـامر: أقلقت وا كل سواكن نفسي
قل يا وزير خليفتنا الأسمى
هل أصاب الدولة مكروه؟
هل عرض بحياة مولانا للخطر.
جعفـــــــر: **(يتباكى)**
مولاكم الآن في ذمة ربه
يسكن فسيح جنان ا
(يرتفع بكاء وأنين رجال مكتوم)

حاول أن يصلح ما أمكن

ونشر في كل درب النور

كي يسلكه الطالب في يسر

نور قلب الأمة بذخائر فكر وعلم

لا ينفذ إلا من أهل الجهل والغفلة

(يرتفع بكاء بعض الرجال للمرة الثانية)

(يقف زياد بـن أفلـح مـولى الحكـم المستنصر)

(طالبا الكلمة، يمسح بعضا من دمع)

جعفـــــــر: تفضل يا زياد بن أفلح

تفضل يا أخلص مولى للحكم المستنصر

زيـــــــــاد: ونحن نجفف دمع العين

علينا ألا ننسى دمع ولي العهد

وفاؤنا للحكم مساعدة مولاي هشام

سيكون ذلك خير عزاء للأسرة

جعفـــــــر: لقد نكأت الجرح يا زياد

الخليفة قد يشفيه بكاء لكن مصيبة تلـك الأمة

فيمن يتولى بعده.. ماذا يشفيه

ابـن أبـي عامر: أتشمم رائحة خيانة في أوصال القصر

جعـفـــــــــر: إحساسك صائب يا بن أبي عامر

أبـــو عـــامر: صقالبة القصر.. أليس كذلك؟

فائق وجؤذر يريدان المغيرة.

جعفـــــــــر: نعم.. ويريداني أن أتحالف معهما

زيـــــــــاد: حبك للحكم وولي عهده في الدم

حتى فوق مصالح نفسك

(يرفع قاسم بن محمد يده، يقـف كـي يعبر عن موقفه)

جعفـــــــــر: نستمع إلى قاسم بن محمد

قاســــــــم: أرى أن تقف بجوار هشام

لكن علينا أن نعرف موقف المغيرة

لو أراد أن يغير ما يريده الحكم

وجب في تلك اللحظة قتاله

جعفـــــــــر: أنا معك، ومعنا في جمع ا

كل رجال المستنصر وأحباؤه

وأحبائي وعصبتي وأقاربي من البربر

"يقف ابن عثمان ليعبر عـن رأي هـو الآخر يبدو عليه الهدوء والوقار"

جعفـــــــــر: تفضل يا بن عثمان

ابــن عثمــان: **(بهدوء)**

ما أخشاه أن تزداد بحور الدم المسلم

ثم تعالوا نفكر قبل حمية حرب

أليس المغيرة بن الناصر صـانع تلـك الدولة؟

ماذا سيقول الناصر لو كـان الآن بـين الجمع؟

سيقول بني وابن بني..

جعفـــــــــر: هذا عظيم لكن هل نضمن المغيرة؟

هل نضمن أن يفعل ما يصلح تلك الأمة؟

أبـــو عـــامر: سوف يتحوطه صقالبة القصر

وسوف نكون نحن الأعداء

جعفـــــــــر: ثم إن العمر بين هشام وبينه ليس كبيرا

خبرته ليست كافية

كي تمنعه من أي وشاية

أو حتى يزن مقدار الكلمات
الملقاة على أذنيه ليل نهار

ابـــن عثمـــان: فلندع للتجربة مجالا يرجى
والأمر كذلك بين أصابع أيديكم
يتحرك كيف تشاءون

جعفـــــــــــر: التجربة في حسم أمور الدولة مضيعة
للوقت والجهد يا عثمان
والأمر لابد أن يحسم من أول جلسة

ابن أبـي عـامر: **(بلؤم)**
لأجل الدولة واستقرار الحكم
في هذي البقعة المشتعلة
فلنضرب بأيدي الحق العمياء
حتى نستأصل أي خلاف من جذوره

جعـفـــــــــر: وماذا تقترحون يا سادة؟

زيـــــــــــاد: نحارب صقالبة القصر حتـى يعترفـوا بهشام
أو حتى نستأصل شأفتهم

ابـــن عثمـــان: ساعتها سنبيع دماء الأمة رخيصة

صقالبة القصر وأنتم إخوان
وسنشعل جزءا ثالثًا بالحرب من جسـد الدولة
أنسيتم ماذا يدار بشمال الدولة؟
وماذا يفعل غالب في جنوب الدولة؟
إننا نخرب قلب الأمة بأيدينا
فلنتدبر هذا الأمر بجدية

ابن أبـي عامـر : أتفق مع هذا الرأي

جعـ ـفـ ـ ـ ـ ـر: **(تتغير معالم وجهه ولهجته)**
كيف تغير رأيك يا ابن أبي عامر؟

ابن أبـي عـامر: (بعقل)
لم يتغير يا مولاي
لكني لست مع محاربة صقالبة القصر
فآلاف الجند يريد آلاف الجند للحرب
وسوف يخرب فعلا قلب الأمة

جعفـ ـ ـ ـ ـ ـر: **(يهز رأسه)**
ورأيك يا ابن أبي عامر؟

أبـ ــو عـ ــامر: أن نفقد واحدا خير من بضعة آلاف

وساعتها لن يجد صقالبة القصر

من يتولى غير هشام

عثمــــــــان: **(بحدة)**

دون قتله

أن يلزم بيته ويعيش مكرما

دون أن ننسى أنه ابن الناصر

جعفــــــــر: (**بعقل**)

رأي عاقل لكن يخضع لظروف الحال

إذن.. سوف نؤيد هشاما

وسنكون في قبضة يده

كي يضرب من يطمع في ملكه

ونسميه "هشام المؤيد" من قبل جماعتنا

وجماعة كل من الأمة قاطبة

من يخرج كي يحدد إقامة المغيرة

ابن أبـي عـامر: (**بقوة**)

أنا لها يا وزير خلافتنا

جعفــــــــر: حسن.. تذهب معه سرية

تتكون من خير جند البربر

والآن فليدبر كل منا حاله لتأييد هشام
ولنتأهب كل العدة حتى نحسم أمر الدولة
"يبدأ الجمع في الانصـراف وينـزوي جعفر وابـن أبـي عـامر فـي أحـد الأركان..."

جعفـــــــــر: قولك حق يا ابن أبي عامر
وتلك فرصتك فاغتنم الفرصة

ابن أبـي عـامر: (**بخبث**)
لا تخش شيئًا يا مولاي
الأحسن أن نستأصل جذر الشيء
والبتر للساق المرضانة خير دواء

جعفـــــــــر: هيا انطلق كالسم لتداوي المرضان.

(**إظلام**)

مشهد (٣)

طرقات عنيفة على بـاب المغيـرة بـن الناصر، شاب في أواخـر العشـرينيات، تجلس زوجته وأطفاله "بنت وولدان" حوله، تفزع تلك الطرقات قلب الأطفال فيهبـون قياما، تحتضن الأم أطفالها، بينمـا يتقـدم المغيرة في وجلٍ لفتح الباب.

المغيـــــــرة: **(بوجل)**

من هذا الطارق الفاقد حس البشر؟

هذا الطارق يفقد جزءا من إيمانه

زوجتـــــــه: انخلع قلب الأطفال لطرقه

عليك بتأديبه إن صرت خليفة

المغيـــــــرة: لعله فائق أو جؤذر جاء في أمر مهم

"يذهب ليفتح في تباطؤ تزداد الطرقـات على الباب، يتداخل الأطفال أكثـر فـي حضن أمهم".

زوجتـــــــه: ينخلع قلبك يا هذا

فليسقط ملك الدنيا شظايا تتناثر

إن مس خواطر طفل آمن

(يفتح الباب، يتدفق الجند يتقدمهم ابن أبي عامر، ينتشرون في البيت، تنزوي الزوجة بأطفالها في ركن، يتحوطها بعض جنود.. موسيقى)

المغيرة: **(بحدة لابن أبي عامر)**

لولا هتك ستار البيت

لخرجت كلمات الترحيب إليكم

لكن.. ما الأمر يا هذا.

ابن أبي عامر: (**بخبث**)

اسمي محمد بن أبي عامر

وجئت لإبلاغك بموت الخليفة

المغيرة: **(بدهشة وانزعاج)**

أخي.. مات.. كيف؟

أخو الخليفة آخر من يعرف.

(يهم بالخروج من الباب فيمنعه الجند)

ابن أبي عامر: (**بغلظة)**

لم أكمل بعد كلامي يا أمير

وجئت لشيء آخر قد يفجعك
تم تولية الأمير هشام خليفة
بعد جمع آراء كل رجال الدولة
مجتمعين عند وزير خلافتنا جعفر

المغيـــــــــرة: وما تريد الآن مني؟
لم أسع لتلك الورطة
رغم أني أحق الناس
وإني ابن الناصر سيد هذه الأرض
والساكن بجوار ربه الآن أخي
ومن وليتم ابن أخي
والدم المتفق في وريدنا واحد
ما يشغلني الآن أخي الطالب دفنه

ابن أبـي عـامر: (**بغلظة**)
جئنا لأمر ثالث

زوجتـــــــه: (**بحدة**)
لا شيء غير الشرر المتطاير من عينيك

ابن أبـي عـامر: (**بسخرية**)
فهمت امرأتك دون كلام

أهنئك بتلك الزوجة

لكن قدر الله سيكون الفاصل

المغيـــــــرة: ولماذا أسجن في داري؟

ما دمت قتلت نوازع نفسي للسلطة

لا يشغل قلبي غير أطفالي الآن

طفـــــــــل: (**يصرخ**) أبي.. أبي

ابن أبـي عـامر: (**بلؤم**)

هل يتناسب سجنك؟

مع كم الشرر المتطاير من عيني

قلت إن قدر الله سيكون الفاصل

الزوجــــــــة: (**تصرخ**)

ماذا تقصد يا هذا؟

(**يصرخ الأطفال ويدخلون فـي أمهـم أكثر، يهرع ناحيـة أطفالـه.. تخـرج السيوف من أغمادها**)

المغيـــــــرة: وماذا يفيدك قتلي؟

عد لمن أرسلك وأعلن بيعتي لهشام

أعلنها مئات المرات إن شئتم ذلك

لكن احقن دمي يا هذا

فهذا الدم عليك حرام

الزوجـــــــــة: **(بحدة)**

شيطان أنت يتخفى في وجه بشري

ابن أبـي عـامر: **(يدفعها)**

ستشاهد عيناك صورة لـن تـذهب إلا

بطلوع الروح

ستظل حرزا يحميها من كل جميل

(يندفع إليـه، فينـدفع إليـه الجنـود، يقيدونه من يديه).

يصرخ الأطفال...

موسيقى، تهويمات ضوئية)

المغيـــــــرة: إن كان للموت مزايا

فجميل أن ترتاح النفس

من كل وجوه غبرة...

ترهقها قترة..

جميل أن ترتاح النفس

من كل وجوه الفجرة

"يشتد غيظ ابن أبي عامر.. يشير لجندي ضخم الجثة يهجم عليه ويقتلـه خنقـًا.. تصرخ الزوجـة، تحـاول أن تقتـرب يقيدونها، يمسـكون الأطفـال.. يسـلم المغيرة روحه ويقع على الأرض بعد أن مات"

ابن أبـي عـامر: **(بقسوة وحدة)**
زوجك خنق نفسه
حزنًا على موت أخيه المستنصر

الزوجـــــــة: أنتم قتلة.. قاتلوه.. قاتلوه..

ابن أبـي عـامر: لا ضير لدي إن قتل كل شهود الإثبات
أطفال وأنت وحتى هؤلاء الجند.

الزوجـــــــة: (**بخوف**)
قتلة.. قتلة.. (**تبكي**)

الأطفـــــــال: أبي.. أبي (**يندفعون إليه**)

ابن أبـي عـامر: (**بسخرية**).
الآن فهمت الدرس..
ثقتي في ذكائك فوق العادة

(**للجنود**)..

يخرج المنادي الآن يعلن ما حدث

خنق المغيرة نفسه

حزنًا على أخيه المستنصر

(يسمع صوت منادٍ..)

(**بصوت ضعيف من بعيد)**

المنـــــــادي: يا أهل قرطبة.. يا أهل قرطبة

الزوجـــــــة: قتلة.. قتلة...

يخرج الجميع..

تضعف الإضاءة

تدريجيا..

(**إظلام)**

الفصل الثالث

مشهد (١)

يسير ابن أبي عامر منتشيا فـي قصـر الخلافة، تتابعه بقعة ضـوء، موسـيقى توحي بلحظة الانتصار.

ابن أبـي عـامر: الآن انفرطت أكبر عقدة
وتساقطت تهوى هيبتها
صار صقالبة القصر كالجرذان الجزعة
لا تجد شقوقًا تأويها
لن يجدوا غير صدر المصحفي مأوى
مأوى يملؤه الشوك
أو صدري كالرمضاء سيكون
للمستغيث من النار
انهار مشروع ابن الناصر
وأقيم مشروع ابن صبح
لكن.. **(يدور حوله نفسه)**
يبقى شيء أهم..
كلانا ارتاح منهم لكن من يفوز

فقطع الشطرنج متساوية العدد

يفوز جعفر بتاريخه مع البيت

وبقيادته لتولية هشام

وتعتدل كفتا الميزان بصبح

علي أن آخذ جانبها دوما

"من عمق خشبة المسرح تدخل صبح

وفي يدها هشام المؤيد، يسرع

ابن أبي عامر إليهما ويأخذ

هشاما من يده ويوصله لكرسي

الخلافة ويساعده في الجلوس،

يوجد كرسي آخر بجوار كرسي

هشام، تجلس عليه صبح"

صـــــــــبح: **(بثقة وراحة)**

الآن ارتاح رأس الدولة

من هذا الوجه الصقالبي المزمن

ابن أبـي عـامر: **(يقترب منها)**

إن شاءت مولاتي وصية هذا العرش

قطعنا أوصال من كان علينا

ولو كانوا نجوما منثورة في السماء.

هشـــــــام: **(بهدوء)**

لو احتجنا لفعلنا هذا الأمر

صـــــــبح: **(بفرح)**

أحسنت القول يا مولاي

فابن أبي عامر يعرف ما يصنع

وهو شباب تلك الدولة

مع حاجبنا الأكبر جعفر

ابن أبـي عـامر: **(بلؤم)**

ما أعظم قول مولاي لكن!

لا يمكن أن نحرمه من أجمل أيامه

بهموم تلك الدولـة المتراميـة شـمالا وجنوبا

وماذا نفعل نحن إن لم نخدمه بصدق؟

إن لم نحمل عنه هذا العبء

هشـــــــام: **(يهز رأسه)**

صـــــــبح: **(بتساؤل)**

كيف؟ أريده أن يتدرب

أن يتعلم كيف يسوس رعيته

هشـــــــــام: (**يهز رأسه**)

ابن أبـي عـامر: مولاتي قادرة أن تتولى حتى يتمتع

قادرة أن تحكم كل العالم

هذا ما يملأ نفسي حقًا

هشـــــــــام: (**يهز رأسه**) فعلا..

صبـــــــــح: لكن سيكون العبء علي بمفردي

ابن أبـي عامـر : (**يطأطئ رأسه**)

هشـــــــــام: إذن اتركوني الآن ألعب

فإماء وجواري القصر في انتظاري

صـــــــــبح: (**بحدة**)

لا ليس الآن.. فلدينا اجتماع

هشـــــــــام: **(يتغير وجهه)**

فلتسقط كل الاجتماعات

ابن أبـي عـامر: دعيه يا مولاتي فأهوال الحكم قادمة

(يهمس في أذنيها)

مولاي الآن جوهرة

تتشكل داخل نفسك مولاتي

فصونيها من عين خصومه

حتى تكتمل عناصر قوتها

وتخرج من قلب محارك

جوهرة كاملة الأوصاف

هشـــــــــام: ما أحسن قولك يا ابن أبي عامر

صبـــــــــح: هل تقصد أن أحبسه عن الناس

ابن أبـي عـامر: (**بخبث**)

بل أقصد أن تمنع عنه عين الناس

من مثله تولى في عمره أمر خلافتنا

صبـــــــــح: لا أحد (**بفخر شديد**)

ابن أبـي عـامر: قد يحب واحد

وقد يكره عشرة

الخوف عليه يجعلني أمنع عنـه حتـى نفسي

صـــــــــبح: كلامك يدخلني دون حواجز

يتخطى أي ظنون تتملكني

يقفز داخل نفسي

فيبعثرها مزقًا.. مزقًا

"يدخل جندي"

الجنـــــــدي: سيدي الخليفة.. **(ينحني)**

بالباب اجتمع كل المدعوين

صبـــــــح: فليدخلوا حتى نبدأ فورا

هشـــــــام: **(يهمس في أذنيها)**

واللعب والجواري يا أمي

صـــــــبح: **(تلكزه)**

سوف تضيع ملكك يا أبله

يدخل القاعة جعفر المصحفي وزياد بن أفلج وابن عثمان؛ كل منهم يبغي شـيئًا مقابل جهوده في إتمام بيعة هشام المؤيد، وتعطي صبح الإشارة لجعفر المصحفي للبدء"

صـــــــبح: **(تشير لجعفر)**

فلتبدأ يا حاجب مولانا السابق الاجتماع

جعفـــــــر: الحمد على توفيقه ورعايته

وإتمام بيعة مولانا الخليفة هشام

المؤيد من قبل جميع الرعية

فقد كشف ا   الغمـة وفشـلت مـؤامرة

الصقالبة

وطبقا لقواعد الخلافة الميمونة

تتولى الوصاية على الخلافة

السيدة صبح والدة الخليفة

وذاك حتى يبلغ أشده

هشـــــــــام: **(يتململ في كرسيه)**

أولست شديدا يا جعفر؟

جعفـــــــــر: **(بتواضع وخوف)**

بلى مولاي فأنت خليفة الدولة

ولكننا نريد أن نريحك من عنائها الآن

هشـــــــــام: **(يهز رأسه)**

إذن أنت حاجبي الأول

وابن أبي عامر مساعد اك

جعفـــــــــر: (**بدهشة**)

مولاي أشكرك.. لكن.

هشـــــــــام: (**بحدة**)

تقول للخليفة لكن

جعفـــــــــر: عفوك يا مولاي.. لا أقصد
أريد فقط توضيح بعض الأمور

هشـــــــــام: (**بطفولية**) أمور ماذا يا حاجب؟

جعفـــــــــر: ليس للحاجب مساعد
ثم إن ابن أبي عـامر وزيـر الشـرطة
والسكة والخزانة.

هشـــــــــام: (**بحدة**)
ومساعدك أيضا.. هل تمانع؟
(**يقف**) ماذا تقول؟

جعفـــــــــر: لا شيء غير السمع والطاعة

هشـــــــــام: إنني أريد ذلك..

ابن أبـي عـامر: (**بلؤم**)
أحلام مولانا سيوف فوق رقابنا
علينا أن ننفذها فورا

هشـــــــــام: وأنت يا زياد.. تصير مولى لي
تتولى شئوني الخاصة
مثلما كنت مع أبي رحمه ا

زيـــــــــاد: (**بخبث**)

شرف يطوق رقبتي

وأمل يملأ نفسي يا سيدي

ابن أبـي عـامر: وابن عثمان الرجل المسالم

التقي الورع الخائف على الدم الأموي

هشـــــــام: ابحث له يا بن أبي عامر عـن شـيء يناسبه

ابن أبي عامــر : لا شيء يتناسب مع سمو نفسه

ابـن عثمـــان: ما جئت طالبا شيئًا ولكني جئت أبايع

ابن أبـي عـامر: **(بلؤم)**

أحسنت. هكذا الرجال

صبــــــــح: موقفك السابق كان متخاذلا يا عثمان

ابن عثمـــــأن : لم أبغ إلا حقن دماء البيت الواحد

صبــــــــح: وها هو قتل نفسه

ابن أبـي عـامر: مجرد أن سمع المغيرة بموت مولانا

حتى سارع وشنق نفسه

(يعلو صوت زوجة المغيرة من بعيد)

الزوجـــــــة: **(بحزن)**

قتلة.. قتلة

هشـــــــــام: لا أدري لماذا تردد زوجة عمـي تلـك الكلمات

ابن أبـي عـامر: **(يتداخل في بعضه كأنه يتألم)**

يبدو أنها جنت هي الأخرى

هشـــــــــام: إذن عليكم بمراعاتها وأطفال عمي

والآن أود أن ألعب..

ليس لدي وقت لهذا الهراء

اذهبوا إلى أعمالكم واتركوني

صبـــــــــح: **(بغيظ)** يا مولاي

هشـــــــــام: انتهى الأمر.. فليذهب جميعكم

"يبدأ الجميع في الانصراف ما عدا جعفر المصحفي الذي يذهب لركن قصي مـن خشبة المسرح تتابعـه بقعـة ضـوء.. **(يحدث نفسه)**"

جعفـــــــــر: **(لنفسه بغيظ)**

ما معنى أن يساعدني ابن أبي عامر؟

الحجابة ليس لها مساعد

معنى ذلك أنه يستطيع أن يتصرف دوني

أن ينفذ بعض ما يريد

ما أمر به الغلام ليس قوله

هو كلام يردده عن أمه

هي وابن عامر صارا واحدا

صار روحين وصارا في مركب واحد

علي أن أحذر منهما

(**بثقة**).. لكني ما زلت قويا

أهلي حولي كثر يأتمرون بأمري

(**يدخل عليه فائق قائد الصـقالبة يبـدو عليه الإعياء والخوف من شيء ما..**)

فـــــــــــائق: (**بهدوء**)

سيدي جعفر حاجب مولاي

جئت أعتذر اليوم عما بدر مني

ما أردت إلا أن يتولى الأكبر والأقدر

جعفـــــــــــر: (**بتعب**)

ما زالت تقول كلاما يدينك

يكفي بإطاحة رأسك يا فائق

فـــــــــــائق: (**بانكسار**)

أطمع في عفوك مولاي
فأنت الأول والآخر في هذي الدولة
وعذري أني أعلمتك بضميري
وأعرف قدرك سيدي الحاجب

جعفـــــــــر: **(يطأطئ رأسه)**
هذا جاء في صالحك
ودعم موقفك فيما تطلب

فـــــــــائق: **(بفرح)**
هل أفهم أنك عفوت عني؟
وعن صقالبة القصر حولي؟

جعفـــــــــر: نعم.. لكن كالخاتم تبقى في إصبعي
أحركه كيف أشاء وأين أريد
لا تخطُ خطوة إلا وتشير علي
وتكون ورجالك سواعد وقت أريد.

فـــــــــائق: اك ما شئت يا سيدي الحاجب
لكن أخشى ابن أبي عامر

جعفـــــــر: **(لنفسه)**

كلنا بدأ يخشى هذا العامر

صار يكسب كل خطواته

ويدعم من قبل صاحبة الحسن

(لفائق)..

لا تخش شيئًا يا فائق

ما دمت ستسير على نفس الدرب

فـــــــــائق: **(يفكر)**

دربك يا سيدي هو مقصدي

لن أحيد عنه أبدا

(ينصرف بعدما ما أشار له المصـحفي بالانصراف)

جعفـــــــر: **(يفكر)**

ربما أحتاجه يوما ما

وعدو الأمس يصير صديق اليوم

لغة المصالح تعرف تلك النظرية

وتؤمن بها حتى الثمالة

جنـــــــــدي: رائع.. كلام يستحق الكثير

"يتابع جندي الحوار الذي دار
من وراء الستائر دون
أن يراه أحد، يخرج بعد
أن يخرج المصحفي.."

(إظلام)

مشهد (٢)

في أحد شوارع قرطبـة يسـير موكـب
الخليفة هشام دون أن يراه أحد من النـاس
الذين هم في شوق شديد لرؤية خليفتهم

رجـــــــــل: **(بتعجب)**
مرت سنوات ولم نر وجه خليفتنا
لم نكن نعرف أن خليفتنا هلال
ينتظره الناس من زمن طال
هل يشرق يوما أم أنه غاب

امـــــــــرأة: **(تلكزه)**
اصمت يا رجل فلهذي الجدران عيون
وآذان تحلل حتى أنفاس الناس

طفـــــــــل: وعدتني أمي كثيرا برؤية مولانا
وخرجت للشارع عشرات المرات
يبدو أنه لا يبغي رؤية وجه الأطفال

رجـــــــــل: يبدو أن وجوه الناس المرهقة
بظلم رجاله وبخاصة ابـن المصـحفي

ترهقه

تضايق نفسه وتقلقها

شـ ـ ـ ـ ـ ـ ـــيخ: (**بحدة**)

لابد من رؤية وجهه حتى نعرفه

ماذا لو حدث مكروه له من يحميه

غير الناس البسطاء المقهورين

لو عشق الناس الحاكم سيطيعونه

حتى لو لم يجدوا كسرة خبز

أو شربة ماء أو شدوا فوق البطن وثاقًا

سيكونون سهاما في جعبته

يرمي بهم من يشاء من أعداء ا

امـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـرأة: (**بهمس**)

كيف تفكر مولاتي.. صبح؟

تخشى الحسد على المحروس خليفتنا

أم أن وجهه الأبيض سوف يعلوه التراب

وسوف تلفحه شمس الصبح الناعمة

"يمر الموكب من أمامهم، يشيرون لـه،

يشير الطفل بشكل مبالغ فيه لكن أحدا لا

"يلتفت إليه"

طفـــــــــل: مر كالريح يا أمي ولم أره
لن أخرج ثانية معك
حتى إذا جاء إلي برجليه

الشـــــــــيخ: (**للطفل**)
سوف تضطر يوما لنزع حجابه
لكن لن يعرفه أحد يا صبح
سوف يصير غريبا في ملكه
فالحكم فعل يؤتيه الحكام
لا ترفعه الأقوال إلى مرتبة عليا

"ينصرف الناس إلى شئونهم يجرجـرون خيبتهم في رؤية الخليفة. تظهـر علـى خشبة المسرح بعض البغايا والسكارى، يعتدي بعضهم علـى المـرأة وتحـاول واحـدة مـن البغايـا أن تشـد الشـيخ العجوز.."

المـــــــرأة: (للرجل العجوز) ألا تشتاق لليلة دافئة
أم أن ماء الحياة جف بظهرك

الشـــــــيخ: أمثالك وجع في قلب الأمة
إن ظل سيدمر كل الناس

امـــــــرأة: (**بدلع**)
طبعا أحلى وألذ تدمير
إننا يا سيدي الشيخ نسري عنكم
نعيد لأمثالكم بعض شباب ضائع
رغم برودة نفسك
وتراقص تلك الأيدي المرتعشة

الشيـــــــخ: اللهم نجنا من هذا البلاء

بغـــــــي: (**تضحك بميوعة**)
"يقترب السكير من المرأة،
يحاول أن يمسك يدها
تدفعه وتضربه بالحذاء،
يلتف حوله بعض الناس
ويضربونه معها"

الســـــكير: (يمسك يد المرأة)
ما أحلى خمرة هذا الفم
آه لو ألثمه مرة

لن أعرف رأسي من قدمي

سأسير على يدي هذين

المــــــــرأة: **(تدفعه فيقع على الأرض، يركب فوقـه الطفل)**

(تضربه بالحـذاء... يصـرخ، يعضـه الطفل)

المــــــــرأة: ضرب حذائي لك شرف يا سكير

سوف يمنحك إفاقة دائمة.

الطفـــــــل: ولن تسكر بعدها أبدا.

(يضربه.. خذ.. يعضه)

السكيـــــــر: (**يصرخ**) آه.. آه

الشـــــــيخ: (**بحدة**)

متى سيفيق ابن المصحفي لعمله

ويحارب السكارى والبغايا في قرطبة

أم أن والده الحاجب يحميه

المــــــرأة: ومن يحمينا سيدنا الشيخ

الشيـــــخ: ا .. يفعل ما يشاء.

(إظلام)

مشهد (٣)

"في المشهد "أبو عامر" وصبح بينما هشام لاهيا بين بعض الجواري الحسناوات".

أبـــو عـــامر: سيدتي والدة الخليفة
وحاكمة البلاد الفعلية

صـــــــبح: **(بفخر)** أحكم برجال ويوليهم
يخلصون لمن يحبون أشداء

أبـو عامـــر: وصلني أن ثمة اتفاق واعتذار حدث

صبــــــــح: مِن من ولمن يا أبي عامر؟

أبـــو عـــامر: **(بلؤم)**
حدث بين الحاجب المصحفي وفائق
هل نسى سيدك جعفر أفعالهم؟

صـــــــبح: **(بتعجب)**
هؤلاء لا أمان لهم
لا أدري لماذا يصبر عليهم؟
لماذا تصبرون عليهم يا ابن أبي عامر؟

أبـــو عـــامر: **(برفض)**

أنا نفسي لا أعطي ظهري مـرة لمـن خانني
ولو قطع نفسه لي مئات المرات

صـــــــــبح: (بخوف)
فلسفة شديدة وقاسية
كن متسامحا يا بن أبي عامر

أبـــو عـــامر: (**بلطف**)
مع الأحباب الحقيقيين
أما من يفكر مرة أن يقتلك
فهو يفكر مرات كثيرة لنفس الفعل
ويتربص الفرص لفعل ذاك

صـــــــــبح: الأمر يحتاج إلى حكمة
كي لا يحدث أي خلل في النظام

أبـــو عـــامر: سأدبر ما يسعد مولاتي
(**بخبث**) وهناك أمر آخر

صبـــــــــح: (**بلهفة**) ما هو؟

أبـــو عـــامر: حاكم قرطبة يحتاج إلى توجيه منك

صبـــــــــح: محمد بن جعفر.. (**تقف من مجلسها**)

أبـــو عـــامر: انتشر السكارى في الشوارع

وزاد البغاء وارتفعت الجريمة

والناس في الشوارع تئن

صـــــــــبح: يصلح أمره أو يتركها

لا يمكن أن تكون مدينة إسلامية هكذا

يجب أن تكون قرطبة محرابا للفضيلة

أي عـــــــامر: (**بتشجيع**)

فصل الخطاب ما قالت مولاتي

"تنتقل بقعة ضوء وتسلط على هشام وهو

مشغول باللعب مع الحسناوات"

هشـــــــــام: انتن زينة تلك الدنيا

لا شيء يساوي لمسة يد دافئة

أو صدرا يضم ساعة كرب

ياه.. ساعة تأخذني النشوة

أطير فوق سماوات سبع

وأحلق فوق الألم الطابق فوق الصدر

ياه.. لا شيء يساوي تلك اللحظة

جاريـــــــــة: **(تضحك بميوعة)**

خذني معك وأنت تحلق

فوق كل هموم البشر الصرعى

هشـــــــــام: كيف أحلق وحدي دون ونيس؟

كيف يحارب خيل دون الفارس؟

تنتقل بقعة الضوء إلى صبح وابن أبـي

عامر.. ضحكة من ابن عامر.

أبــو عــامر: **(بلؤم)**

مولاي هشام يعيش حياته

صبـــــــــح: **(بضيق)** الناس تريد رؤيته

تطالبني دائما بوجوده حتى يحكم

أبــو عــامر: أوليس يحكم يا مولاتي؟!

من عين رجال الدولة؟!

من أعطاني شرف مساعدة الحاجب؟!

صبـــــــــح: أريده أن يتمرس أكثر

أن يشعر بمسئولية الأمر

أبــو عــامر: **(بتحذير)**

حوله مخاطر شتى يا سيدي

أنسيت صقالبة القصر

وعيون الشماليين والجنوبيين

وأبناء العم ممن يريدون ملكه

صبـــــــــح: يقول الناس إننا نحبسه عنهم

أبـــو عـــامر: حتى يقوى ويشتد العود تماما

وسوف تعود شمس الناصر ثانية

(يدخل جندي)

جنــــــــدي: سيدتي..

صبـــــــــح: ماذا تريد؟!

جنــــــــدي: بالباب سيدي جعفر المصحفي

صـــــــــبح: فليدخل فورا...

يترك هشام الجـواري ويحضـر إلـى كرسيه

يجلس ويمرجح قدميـه فـي طفوليـة، تنصرف

الجواري، يدخل جعفر المصحفي

جعفــــــــر: السلام عليكم ورحمة ا وبركاته

هشـــــــام: ومن أين يأتي السلام؟

وصقالبة القصر تدبر مؤامراتها ضدي
وأنت تعرف وأعطيت لهم الأمان

جعفـــــــــر: **(بهدوء ينظر لابن أبي عامر)**
سامحتهم بعد ما طلبوا العفو والسماح
ووعدوا أنهم سـيكونون طـوع أوامـر مولاي

صـــــــــبح: (بحدة)
لكنهم الآن يتآمرون حتى ضدك
أرى أن تتولى مسئولية الصـقالبة يـد باطشة
يخشون منها.. (**يقف هشـام ويتحـرك تجاه أبي عامر**)

هشـــــــــام: يتولى مسئولية ذلك "أبو عامر"

أبــــو عــــامر: **(بخضوع مصطنع)**
السمع والطاعة لخليفتنا هشام المؤيد

صبـــــــــح: لو فعلوا شيئا تصرف معهم

أبــــو عــــامر: أمر هين، سأشتت أمرهم
إن ورد لخاطرهم أن يفعلوا شيئًا

صـــــــــبح: أثق في ذلك يا أبا عامر

(**للمصحفي**) وهناك أمر آخر يا جعفر

جعفــــــــر: مولاتي تأمر..

صبــــــــح: قرطبة تأكلها الفوضى
وينتشر في شوارعها ودروبها السكارى والبغايا

جعفــــــــر: (**بتوتر**)
سأبحث هذا الأمر بنفسي

هشــــــــام: والآن أواصل لعبي..

"يخرج الجميع ينزوي ابن "أبي عـامر" وصبح في ركن قصـي، بقعـة ضـوء حمراء تسلط عليهما، وينـزوي هشـام والجواري.. اللائي يدخلن فـي الـركن الآخر.. ويقف جعفر وحيدا فـي عمـق المسرح.. حائرا لا يدري ماذا يفعل".

جعفــــــــر: لا تزرع بشرا قبل تنقية جذوره
حتى تعرف ماذا تغمر أنفاسه
إن تزرع بشرا يقلعك
إن ضعف منك العود
صنعة تلك اليد تقصقص ريشي
فالأمس مساعد واليوم تـولى صـقالبة القصر

والغد سيدور الكأس كي يشرب منه فلذة
كبدي
(يهز رأسه)
بغايا تقتل قرطبة
وبغايا تقتل أنفسها
أحرار من كن بغايا في العلن
(**لنفسه**)
أو ليس من يسكن هذا القصر بغايا؟
(تساط بقعة الضوء على أبـي عـامر وصبح)
(**ثم تنتقل لتساط على هشام والجواري**)

زوجـــة المغيـــرة: قتله.. قتله.. قتله..
(يتألم هشام لسماع صوتها)

هشـ ـ ـ ـ ـ ـ ـــام: أخرسوا هذا الصوت
أخرسوا هذا الصوت
(إظلام)

الفصل الرابع

مشهد (١)

الناس في حالة غضب شديد في قرطبة بسبب ما يحدث من البغاة واللصوص والسـكارى، يندس بينهم بعض عيون "ابن أبي عامر" لكي يزيدوا الموقف اشتعالا.

الشـــــــيخ: (**بحماس**)

لم يعد في جعبة الصبر شيء

لقد تحولت قرطبة إلى خيمة

تضم ذوات الرايات الحمر

صارت البغايا تشدنا من الشوارع

امـــــــرأة: (**بغضب**)

بالأمس هجم علي لص

وقبلني سكير أثناء سيري مع طفلي

طفـــــــل: (**بسخرية**)

حتى نحن الأطفال لم نسلم منهن

ماذا يفعل مثلي

أمام تلك الفرسة الجامحة

الشـــــــيخ: **(بغضب)**

لابد أن نذهب لقصر الخلافة

رجــــــــل: **(بغضب شديد وصياح)**

لم نعد نأمن على شيء

(بصوت عالٍ)

يسقط حاكم قرطبة

يسقط الفساد والبغاء

(ينضم إليه الجميع يرددون)

الجميــــــع: يسقط الفساد.. يسقط البغاء

(يتحرك الجميع ناحية قصر الخلافة في قرطبـة في ثورة عارمة، تسير المسـيرة مـن بدايـة المسرح، ينضم إليها كثير من الشخصيات)

بصـــــاص: حان الوقت ليضرب سيدي ابن أبي عامر

ما أصعب أن يضرب ولدك!

أن تحاربني أو حتى تقتلني سهل

أن يؤذى ولدي شيء صعب،

علي أن أسبق هذا الجمع

قبل أن يعلم من غيري

(إظلام)

مشهد (٢)

في قصر الخلافة يتواجد هشـام وصـبح وابن أبي عامر العائد من إحدى الغزوات لتأديب بعض الخارجين. أصوات عاليـة خارج القصر تطالب بسقوط حاكم قرطبة

أصـــــــوات: يسقط الفساد.. يسقط البغاء

يسقط اللصوص.. يسقط البغاة

صـــــــوت: (**زوجة المغيرة**)

يسقط القتلة.. يسقط البغاة

صـــــــبح: (**بحدة**)

ما هذه الأصوات.. أثورة علي؟

لماذا وصل الناس إلى هذا الأمر؟

هشـــــــام: (**باستفسار**)

ينادون بسقوط من.. أيقصدوني؟

ابن أبـي عـامر: (**بحدة**)

لا.. لست أنت يا مولاي

لكن يقصدون النائم على أذنيه

الشارب لكئوس الإهمال واللهو

هشـــــــــام: (**بحدة**)

من تقصد.. قل بسرعة

ابن أبي عامــر: (**بحزم**) محمد بن جعفر المصحفي

صــــــــــبح: لقد حذرت المصحفي مرة

كيف ترك الناس حتى ثاروا؟

أن تترك أحدا يتحرك مصيبة

سوف تراه في الغد أمامي

وسوف يعرض حياة خليفتنا للخطر

هشـــــــــام: وأجد نفسي مخلوعا في الغد

ويضــيع الملــك واللعــب والجــواري

الحسناوات

(**يصرخ**) يا حارس

(**يهرع الحارس إليه**)

الحـــــارس: لبيك يا سيدي..

هشـــــــــام: (**بحدة**)

أحضر المصحفي حالا

الحـــــارس: (**بقوة**) حالا يا سيدي

ابن أبـي عـامر: **(بمكر)**

هل السيطرة على قرطبة مشكلة؟

بعض لصوص وبعض بغايا مشكلة

ماذا لو خرج لتأديب الشماليين الفرنجة

أو الجنوبيين الأشداء المتعصبين؟

هشـــــــــام: **(بسخرية)**

ابن المصحفي أحضر مظاهرة لقصري

صـــــــــبح: **(بتعجب)**

لو لدينا اثنان مثل ابن أبي عامر

لملكنا كل أوربا في عدة سنوات

أمثال ابن أبي جعفر مساوئ هذه الدولة

ابن أبـي عـامر: **(بتواضع مصطنع)**

تشجيعك لي يدفعني

ويقوي ما يضعف

الحـــــــارس: **(يدخل)**

سيدي جعفر يقف بالباب

صـــــــــبح: **(بحدة)**

أدخله بسرعة

ابن أبـي عـامر: **(يتحرك بعض خطوات بعيدا عن صبح)**

لعله يحسم أمرا

(يدخل جعفر منزعجا. يلهث، يحاول أن يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة)

جعفـــــــر: تحت أمرك يا مولاي

هشـــــــام: **(بحدة)**

ألم تر المظاهرات في شوارع قرطبة؟

جعفـــــــر: رأيتها يا مولاي، وأصـدرت أوامـري بقمعها

صـــــــبح: **(بحدة)**

قبل أن تقمع مظاهرة ما

عليك أن تعالج أسابها أولا

وتعرف لماذا خرجت من صدور الناس؟

وقمع تلك النفوس الثائرة له طرق

جعفـــــــر: **(باستعطاف)**

ما هي يا مولاتي؟! أود أن أعرف

هشـــــــام: (بغضب)

يعزل محمد ابنك ويولى بدلا منـه ابـن

أبي عامر
لو كان حاكم قرطبة أحدا غير ابنك
لكان السجن مأواه الآن.

صـــــــبح: **(برود)**
وأنت يا "ابن أبي عـامر".. أود مدينـة فاضلة

أبـــو عـــامر: سوف يلف مدينتنا الأمن
وسيعلو جبهتنا الحزم
لن يجد فيها الباغي شبرا يأويه
وستهدم كل بيوت العهر بداخلها
وسوف تضاهي مكة أو يثرب

صـــــــبح: أنت وغالب فرسان للأندلس
أعرف أنكما للحسم رجال

ابن أبـي عـامر: سأبلغ حاكم قرطبة وأرجو أن يوفق "ابن أبي عامر"
(برود مصطنع)

صبـــــــح: أشكرك أستاذي جعفر

ابن أبـي عـامر: أفضل ما فعل جعفر أنت

أشكرك.. أرجو أن يحقق غالب ذاك

جعفـــــــــر: ويؤمن كل الثغور الشمالية والجنوبية

(تصاحبه بقعة ضوء، يتحرك)

ليته يعرف حتى تستريح الدولة

(لنفسه) وأعرف أنك ستفعل

إلى أين تأخذني يا ابن أبي عامر

علي أن أبحث عن نصير

أبحث عن جماعة حولي

غالب.. نعم، فارس الأندلس

(إظلام)

مشهد (٣)

يجلس فارس الأندلس بجواره ابنته أسماء
وهي شديدة الحسن في ركن من المسـرح
بقعة ضوء عليهما

غالـــــــب: ياه.. جعفر المصحفي يود مصاهرتي
يريدك يا أسماء لابنه محمد

أســـــــماء: (**باستفسار**)
حاكم قرطبة يا أبي؟

غالـــــــب: **(بحزم وسخرية)**
لم يعد كذلك.. عزله الخليفة
بعد ثورة الناس هناك
لقد حول تهاونه البلد لثورة

أســـــــماء: ولماذا يخطبني الآن؟
هل خلت قرطبة من النساء؟

غالـــــــب: أنت بنت غالب فارس الأندلس
وأنت من أجمل بنات الأندلس

أســـــــماء: لكني مطلقة من ابن حيدر

ما أكره أن أكون لعبة سياسية
وما أكره أكثر أن أكون في جانب ضعيف

غالـــــــب: (**بتعقل**) فهمت ماذا تقصدين؟
(**يدخل جندي مسرعا حاملا رسالة**)

جنـــــــدي: سيدي القائد معي رسالة من ابن أبي عامر

غالـــــــب: (**يفتحها**) من ابن أبي عامر؟!
(**يقرأ يقف فجأة، يتجول في الحجرة، يفكر في هدوء**)
وها هو خطاب آخر يا أسماء

أســـــــماء: ابن أبي عامر.. وضحت الرسالة الآن
زواج سياسي يا أبي

غالـــــــب: (**بهدوء**) إذن علينا أن نختار الأقوى
جعفر صار ضعيفا
يخسر كل يوم شيئا، حتى ابنه ضعيف مثله

أسمـــــــاء : أراك اخترت يا أبي

غالـــــــب: يقول في الرسالة إن القصر يبارك ذلك
وتدعمه أم الخليفة صبح

أســـــــماء: (**بمكر**)

كيف تدعمه صبح؟
بزواجي منه أتزوج الخلافة
فهو الصوت العالي في أذن صبح

غالـــــــــب: سأرسل له بالموافقة والاعتذار للمصحفي
مراعاة للعشرة القديمة والعمل معـا فـي
السابق

(تطفأ بقعة الضوء)

في الركن الآخر من خشبة
المسرح يقف جعفر المصحفي
بقعة ضوء مسلطة عليه...

جعفـــــــــر: آه.. تأخذني قدماي لأين
قد ضاعت مني آخر ورقة
كالعادة يسبقني التلميذ الشاطر
ويأخذ من أستاذه زمام الأمر
آه.. إن تزرع بشرا يقلعك
أهوان قادم يأخذني إليه؟
أبعد الحكم وبعد الملك أصير التابع
للمتبوع ويأكلني الألم؟

ماذا أفعل؟! **(يدور حول نفسه)**
ما أصعب من أن تُحرج ممن أحسنت إليه!
آه... أذنب قد فعلته تلك الأيدي
(يسمع صوت زوجة المغيرة)

زوجة المغيـرة : قتلة.. قتلة..

جعفـــــــر: **(يتألم)**
عرفت الذنب الآن
هذا الصوت ذنبه معلق في تلك الرقبة
معلق في تلك الرقبة
(**تُطفأ بقعة الضوء**) تضاء بقعة ضوء فـي عمق خشبة المسرح على صبح وابن أبـي عامر

صـــــــبح: **(بلؤم)**
أسماء القمر بين يديها
مطفأ تأكله العتمة

ابـن أبـي عـامر: **(بلؤم)**
لكنك شمس مولاتي تنير فضائي
إن تتأخر مرة عني ينطفئ العمر

وتصير العتمة في كل جوانب قرطبة

صـــــــبح: كلام يتبخر ساعة تشرق هي
أو زبد متجمد ساعة ليل
يسيل مع أول طلة من عينيها
ثم لا تمسك صبح إلا فراغًا

ابـن أبـي عـامر: كيف وكلي ينفطر فور قدومك
وحين تروحين يتقطع بعضي
(يسمع صوت زغاريد ومزاميـر وأفـراح وغناء)
(تبدأ في الارتفاع شيئا فشيئا.. موسيقى)

صبـــــــح: (**بحسرة**) ترتفع زغاريد الفرح لغيري

ابـن أبـي عـامر: **(برفض مصطنع)**
إن شاءت مولاتي ألغيت الأمر
وصار كما كان ابن أبي عامر
لقد خيرتك قبل أن أفعل شيئًا
وحتى بعد إعلان الفرح
إن شاءت مولاتي لا شيء يكون

صـــــــبح: (**بلؤم**)

لا.. فعروسك هذي من صنع يدي
اختارتها صبح لأهم رجال الدولة
فهذا شيء يسعدني حقا.

أبو عامر: (بخضوع) نفسي وكل ما أملك بين يديك.

صـــــــــبح: (بتحذير خفيف)
تذكر فقط أني كنت بجوارك
منذ كنت لا تعرف ولا تملك شيئًا
حتى صرت أهم رجال الدولة
حسنًا.. بعد الفرح جهز رحلة لهشام
سيزور بعض ولايات الدولة.

ابـن أبـي عـامر: (**بجزع**)
مولاتي.. الدولة تنتشر فيها الثورة
وأخشى أن يمسسه سوء

صبـــــــــح: (**بتعجب**) وما دورك إن مسه سوء؟

ابـن أبـي عـامر: رقبتي فداء لمولاي
لكن علي أن أحذر مولاتي
وأؤمن أي مكان يبغي رؤيته

صـــــــــبح: **(وهي تتركه)**

إذن جهز نفسك بعد الفرح لذلك

ابـن أبـي عـامر: (**لنفسه**)

هذه أول مرة تأمرني فيها بحدة

كان كل الطلب رجاء قبل اليوم

أنفذ كل أوامرها حتى أقضي على أشـباح

الدولة وأقطع أوصال بني أمية

مولاتي.. (**تلتفت وراءها**)

صـــــــــبح: (**ببرود**)

أتريد شيئا؟.

ابن أبي عامــــر: بعض الناس تتهم المصحفي

صـــــــــبح: (**تستدير**)

بماذا يا بن أبي عامر؟

ابـن أبـي عـامر: (**يدعي الخجل**)

أخجل أن أقول أشياء مالية

لدي بعض الناس تقول رشوة

والبعض الآخر استغلال نفوذ

وأشياء أخرى..

صبـــــــــح: وماذا تفعل؟

ابـن أبـي عـامر: (**بلؤم**)

لا أحد فوق مساءلة مولاتي

لا أحد فوق سؤال الخليفة

نستجوبه إن ظهرت براءته أعتذر له.

صبـــــــــح: وإن لم تظهر براءته

ابـن أبـي عـامر: لا أحد فوق حساب مولاي ومولاتي

وشرع ا فوق رقاب الكل

صـــــــــبح: (**باستسلام**)

افعل ما تجده صالحا

لكن لا تنس رجال الدولة المهمين

ابـن أبـي عـامر: (**لنفسه**) أعشق تلك اللغة المنهزمة

ما تطرب أذني إلا باستسلام

الآن أشق طريقي نحو بناء الدولة

العامرية.. ما أطيب هذا الاسم

المنصور.. حاكم تلك الدولة

الزاهرة.. عاصمة العامريـة (**موسـيقى حالمة**)

(**إظلام**)

مشهد (٤)

في مشهد محاكمـة ظالمـة يقـف جعفـر المصحفي وراء قضبان أمام قاض وحولـه جند كثير يحضر بعض العامة وشهود زور.

القاضـــــــي: نبدأ بسم ا التحقيق
ماذا تقول فيما نُسب إليك؟

جعفـــــــر: لا أدري ما نُسب إلي.. قلتم أشياء كثيرة

القاضـــــــي: **(بلؤم)**
استغلال نفوذ.. توظيف أهلك
الرشوة، التقصير في مهام وظيفتك

جعفـــــــر: ولماذا ظهرت تلك الأشياء فجأة
دون سابق إنذار؟!
لقد خدمت خليفتين
الحكم المستنصر وهشام المؤيد
ولولا ا ومجهودي ما ولي هشام

القاضـــــــي: لذلك ازداد نفوذك وتحالفت مع فائق ضد الخليفة

جعفـــــــر: **(بحدة)**
هل تثبت ذلك؟
القاضـــــــي: **(بسخرية)** لدينا كل الشهود
القاضـــــــي: من أعطوك الرشوة ومن سمعوك
ومن استغللت نفوذك في قهرهم
جعفـــــــر: **(بانكسار)**
طالما أن الأمر متعلق بشهود
لا رأي يخالف رأيك
القاضـــــــي: الشهود.. **(يخرج من بين الصفوف ثلاثة)**
الشـــــــهود: **(بحدة)**
فعل، فعل، فعل.
جعفـــــــر: **(لواحد منهم)**
فعلت ماذا يا هذا؟
الشـــــــاهد: **(بتفكير)**
فعلت ما فعلت
الشـــــــاهد ٢: **(بخوف)**
ما فعلت فعلت

الشـــــــاهد ٣: **(بسرعة)**

ولا شيء فوق الفعل

القاضـــــــــي: **(بلؤم)**

هل سمعت الشهود عليك؟

جعفـــــــــر: **(بسخرية)** نعم وقراره سيدي

القاضـــــــــي: **(بحدة)** تقصد من؟

جعفـــــــــر: من أحضر شهود الزور

وجعلك تقاضي حاجب المستنصر وهشام

القاضـــــــــي: **(بغضب)** أنت تسب القاضي

والحكم عليك هو أن تلزم دارك وتُصادر

أموالك

جعفـــــــــر: **(بمرارة)**

تقصد أن أسجن داخل داري

أو داخل سجن من إعداد سيدك

القاضـــــــــي: **(بحدة)**

خذوه لداره وأحكموا حوله الحصار

الجنـــــــــود: **(بعنف)** السمع والطاعة سيدي

موسيقى حزينة، إضـاءة خافتـة بقعـة

ضوء تُسلط على جعفـر، فـي عمـق المسرح شباك صغير مقـارب لشـباك زنزانة.."

جعفـــــــــر: **(بأسي شديد)**

صبرت على الأيام لما تولت[*]

وألزمت نفسي صبرها فاستمرت

فيا عجبا للقلب كيف اصطباره

وللنفس بعد العز كيف استذلت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى

فإن طمعت طاقت وإلا تسلت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة

فلما رأت صبري على الذل ذلت

وقلت لها يا نفس موتي كريمة

فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

(موسيقى.. إظلام)

---

[*] الشاعر: جعفر المصحفي في رثائه لنفسه.

الفصل الخامس

مشهد (١)

صبح تقف مع ولدها هشام في القصـر..

موسيقى توحي بهجرة مكان ما

صـــــــبح: هل صار القصر مهجورا؟!
أين الوزراء وأين رجال الدولة؟
لم يعد أحد يأتي كما كان
حتى الاجتماع الأخير لم يحضره أحد

هشـــــــام: **(بغيظ)**
لعل لديهم ظروفًا تمنعهم

صـــــــبح: **(بحدة)**
لا تقل ذلك واستيقظ لملكك
لم يكن أحد يجرؤ أن يتأخر على أبيك

هشـــــــام: **(بإهمال)**
أبي كان خليفة

صـــــــبح: **(بحدة)**
وأنت ألست خليفة؟

هشـــــــام: **(بإهمال أكثر)**

لم أشعر بهذا الأمر

فلم أصدر أمرا أقتنع به

ولكنها كانت رغباتك

هشـــــــــام: ليتني كنت وليا للعهد مع عمي

أفضل من مسخ مع جعفر وعامر وغالب

(بحدة) ومعك أيضا

صبـــــــــح: **(بغضب)**

ومعي أنا أيضا.. أنا أمك

هشـــــــــام: **(بسخرية)**

خلافة من ورق

أحمل تبعاتها أمام ا فقط

صبـــــــــح: شغلت نفسك باللهو واللعب

هشـــــــــام: **(بسخرية وحدة)**

بعدما حبسني حليفك هنا

في قصري ومنع عني الناس

الناس لا تعرف هشاما

الناس تتعامل مع ابن أبي عامر

وتفخر بانتصارات غالب

وما زالت تحترم جعفر

صـــــــــباح: **(بحدة)**

جعفر حرامي، مرتش، مستغل للسلطة

هشـــــــــام: **(بسخرية)**

هذا كلام هذا الثعلب

حتى يقصقص كل من حولي

قضى على أولاد عمي جميعا

وكل من له صلة بالبيت الأموي

صـــــــــبح: **(بتعقل)**

لمصلحتك حتى لا ينقلبوا عليك

هشـــــــــام: **(بوعي)**

حتى يكشف ظهري

ويخلو الطريق أمامه من جعفر صـديق أبي

صـــــــــبح: **(بحدة)**

هؤلاء جميعا ضدك

هشـــــــــام: **(بوعي)**

كان من السهل استيعابهم

صـــــــــبح: **(بغضب)**

وطالما أنك فاهم هكذا.

لماذا لم تتصرف يا خليفة؟!

هشـــــــــام: **(بخوف)**

كيف أحفظ هذي الرقبة؟

هل تدرين ماذا يفعل بقصر الخليفة؟!

صـــــــــبح: **(بغضب)**

أحاطه بسور ضخم وخندق

كي يحميك بعد أن أنتقل للزاهرة

هشـــــــــام: **(بسخرية)**

كي يمنع مني الداخل ويعرف الخارج

حليفك يا أمي يذيع بأني زاهد

أتفرغ لعبادة ربي فقط

وليس لدي وقت للدولة

وأنه موكل من قبلي بكل شيء

فماذا يأتي إليك الوزراء؟

صارت الزاهرة عاصمة للخلافة

وصار قصره قصر الخلافة

صبـــــــــح: هل قال ذلك فعلا؟

هشـــــــــام: الفعل أمامك يا أمي

لكن العين لا ترى من رمد

لو حاولت الآن أن أخرج

سوف يمنعني رجاله..

(يتحرك نحو الباب ويحاول

أن يفتحه.. يفتح من الخارج

جندي يحمل سلاحا ويدخل آخر)

(يحـاول هشـام أن يخـرج فيمنعـه

الحارسان)

قائـد الحـرس: (**بقوة**).

ممنوع يا سيدي.. نخشى عليك.

ولم نجهز أنفسنا لتأمينك.

هشـــــــــام: (بحدة)

أممنوع من الخروج من قصري؟

قائـد الحـرس: (**بلؤم**)

أمرنا أن نحمي مولانا الخليفة

حتى من نفسه لو حاول أن يخرج وحده

ما يدرينا لعل قاتلا ينتظره

صـــــــــبح: **(بعنف وقوة)**

اذهب وأرسل ابن أبي عامر

وإلا قطعت رقبتك حالا

قائـــد الحـــرس: **(بلؤم وخبث)**

أمر جديد، فليس لدي أوامر بمخالفتك

وسوف أذهب إليه بنفسي

ولكن لا تخرج مولاي حرصـا علـي وعليك

هشـــــــــام: **(بسخرية)**

إذن أرسل في طلبه

قائـــد الحـــرس: فورا سأذهب..

(يخرج ويغلق الباب بقوة)

(يحاول أن يشده هشام لكن يغلق الباب بشدة)

صـــــــــبح: **(بحزن شديد)**

ياه.. بين السجن وبين الحماية شعرة

ياه.. لم أفهم معنى ما يقصد

كان يخطط من الوهلة الأولى
(لنفسها) كنت أعتقد استئثارا بي
يحاول أن يجعلني لنفسه
أعماني حبي لذاتي فوافقته
وأعمتني كلماته العذبة سنين

هشـــــــام: **(بحدة)**
والحل يا أمي

صــــــــبح: الناس يا ولدي، العامة ذخيرة
نستخدمها وقتما تضيق علينا

هشـــــــام: **(بسخرية)**
من يستخدمها؟ العامة لا تعرف إلا هـو
وأنت
وهو صار بطلا شعبيا
يعشقه العامة، يتغنى بأفعاله الناس
في وقت يعرف عني اللهو
ثم التوبة والتفرغ لعبادة ربي

صــــــــبح: **(بأمل)**
نحاول أن نطرق أبوابا عدة

سأخرج للناس أنادي في الطرقات
حتى يتجمع حولك كل القاصي والداني
حتى تعود السلطة إليك
حتى تعود شيخًا يتبعه مريدوه

هشـــــــــام: أصبح معه صقالبة القصر
والبربر والمرتزقة وغالب
صار يتحصن بمدينة
يجعلها عاصمة خلافته
ويسمي نفسه المنصور
يا أمي لا أملك إلا حماية روحينا
ولولا الناس لقطعت هذي (**يشير لرأسه**)

صـــــــــبح: (**بتعقل**) قلت الناس
ما زالت الناس تعشق جدك
وتحترم أباك الصانع كل حضارة هـذا البلد
فلا يقتلك اليأس مكانك
انهض هذا من فوق الأكتاف
وتقدم نحو الملك بقوة

استدفئ يا ولدي بالناس

هشـــــــام: وكيف يفك الناس عني الأسر

صـــــــبح: (**تفكر**)

الحيلة.. لن يغلب مكره مكري

سأدعو كل الناس سرا في القصر

أعرف من ينفضون عنه تماما

وأعرف من أحشد حتى أنتصر

هشـــــــام: ستكون حربا بين أبناء البلد الواحد

ستكون صراعا للسلطة لا غير

وحتى لو كان من سيحارب معك

صبـــــــح: لا أدري لكن سأرسل لابن عطية

هشـــــــام: (**بشك**) زيري بن عطية

ملك المغرب ولماذا يحارب معنا

صبـــــــح: يكره المنصور ويطمع في السلطة

هشـــــــام: يا أمي الناتج واحد

سنحضر من يطمع في السلطة

ليزيح من يستولي عليها الآن

الناتج يا أمي واحد

صـــــــــبح: **(بحدة وغضب)**

ولو.. حتى لو حدث

أفضل من هذا الوغد

هشـــــــــام: (**بخضوع**)

لا ملك إلا أن أسكت

لكني سأقايض بالدنيا من أجل الروح

لو حدث عكس ما نرجوه

صـــــــــبح: (**بحدة**)

وأنا أبيع الروح رخيصة

مقابل أن يهزم هذا

سأغادر قرطبة الآن لابن عطية

هشـــــــــام: الآن أصبح سجني كل البلاد

قرطبة صارت طوقا حول الرقبة

يا من ينقذني قديما

ليتك يا بن العم حكمت

وصرت خليفة هذا البلاد

لم يفلح ملك من بعد وصي

(تطرق صبح على الباب بعنف، يفـتح

لها قائد الجند، تخرج لم يمنعها، ولكنه يمنع هشام المؤيد من الخروج معها).

صبـــــــــح: سأعود ومعي مفاتيح هذا البلد

هشــــــــام: أرجو ألا تصدأ أقفال الأبواب

(إظلام)

مشهد (٢)

"يدخل ابن أبي عامر ومعه قائد الحـرس والحراس.. يلتف حول هشام الجنود فـي حلقة إضاءة مرتعشة، موسيقى متوترة"

ابن أبـي عـامر: **(بحدة)**

أين ذهبت أم الولد؟

هشـــــــام: **(مذعورا)**

تقصد واصية الخلافة

من أعطت لمن لا يستحق

فعلت فسادا في مملكتي

ابـــن أبـــي عامـــر: ياه.. مملكتك.. أعرفتها الآن؟

هشـــــــام: وأعرف ملكي وماك أبي

ابن أبـي عـامر: **(بحدة يرتجف لها هشام ويطبق حـول رقبته أكثر الجنود)**

طالما أنك عرفت فالزم

هشـــــــام: أألزم ملكي؟!

ابن أبـي عـامر: لا.. تلزم قصرك
لن تستطيع صبح أن تفعل شيئا
قضي – يا بن الحكم – الأمر
في يوم مثل هذا، ساعتها كنت صغيرا
نغتصب لأجله ملك الغير
عمك المغيرة هل تعرفه
هشـــــــام: (**بخوف**)
وقتلته.. أتريد أن تقتلني؟
ابن أبـي عـامر: لا.. أحتاجك صورة مثل العباسيين
خليفة يدعم دولة في أرضه
فلماذا لا تجرب تلك الفكرة في أقصـى الأرض
هشـــــــام: إذن اقتلني إن شئت
ابن أبـي عـامر: أنت تخاف الموت وتريد أن أفعل
(يطبق بعض الجنود عليه.. واحد منهم)
هشـــــــام: (**يجزع**)
أتقتلني كما قتلت عمي بالأمس؟
ابن أبـي عـامر: **(يضحك بسخرية)**

أعرفت.. ولماذا لم تقتل قاتل عمك؟
لا.. لن أقتلك.. سأجعلك خليفة روحي
وأنا سأحكم تلك الدولة
من الآن قامت الدولـة العامريـة فـي
الزاهرة
وأنا حاكمها.. هل تقبل يا مولاي
(يزيد الجندي ضغطا على رقبته)

هشـــــــــام: **(بصعوبة)**
نعم.. أقبل.. فليس في الأمر جديد

ابن أبـي عـامر: (**يضحك**)
نعم.. هذه الكلمة منعتك مني
وليس الآن فقط.. بل طوال حياتك
أما صبح.. فلن تدخلها ثانية
فلتعد إلى أقاربها في الشمال
فأمك ليست عربية يا خليفة
مجرد نزوة والدك لا غير

هشـــــــــام: (**بغضب**)
إياك وأمي يا بن أبي عامر

ابن أبـي عـامر: **(بلؤم)**

سأحترم مشاعرك يا خليفة المسلمين

والآن.. وقع هذا المرسوم

هشـــــــــام: ما هذا..؟!

ابن أبـي عـامر: مرسوم يؤكد ما قلته أنت منذ قليل

تفويض لإدارة شئون الحكم

لتفرغك لعبادة ا   القهار

هشـــــــــام: **(يمسك المرسوم من أحد الجنود ويوقع)**

قلتُ ما كنت تريد

لكن سيعود الحق حتما لأهله

ابن أبـي عـامر: **(يضحك)**

لا أنا ولا أنت لنا الحق

كلانا سارق لحق آخر

ولأني أعرفك مشتاقا لرأي الناس

سوف أعطيك الفرصة لتعرف

لتعرف ماذا يقولون عنك وعني

وعنها.. الفأرة تستنجد بابن عطية

وأنا متأكد أنها ستعود مذعورة

تستنجد بجدار الصمت داخل قصرك

ولن تجرؤ تبرح أكثر منه

(يأخذ المرسوم من يده ويخرج الجميع إلا هشام، تضيق عليه بقعة ضوء حتى تتلاشى شيئًا فشيئًا..)

(إظلام)

المشهد الأخير

في مشهد مهيب يركب ابن أبـي عـامر
بجوار هشام المؤيد وحوله الجند من كـل
جانب.. يسير منادٍ خلفهما يقرأ المرسـوم
الذي وقع عليه الخليفة.

المنـــــــادي: يا أهل قرطبة.. يا أهل قرطبة
اسمعوا واعوا مرسوم الخليفة
بسم ا الرحمن الرحيم..
يفوض المنصور "ابن أبي عامر" مدبرا
مني لشئون الدولة
وذلك لتفرغي لعبادة ربي
حتى يرضى عني وعنكم ويبارك
ويرعى دولتنا الميمونة.

رجـــــــل ١: **(الآخر بجواره)**
قد بدأت تنهار الدولة

رجـــــــل ٢: **(يلكزه)**
اكتمها في سرك.. فالمنصور لا يرحم

رجـــــــل ١: ورجاله يندسون بين الناس
يتسربون كالنمل في آذاننا
رجـــــــل ٢: **(بسخرية)**
ثم ما الجديد في الأمر؟
لم يكن للخليفة دور ولن يكون
الآن عرفنا حكم الدولة
رجـــــــل ١: **(بحزن)**
وحق البيت الأموي في الحكم
رجـــــــل ٢: كان الأمر في أوله شورى
ثم ورثه معاوية لولده
لو كان هناك من يستحق الخلافة
لكان البيت النبوي أحق
رجـــــــل ١: **(يهمس)**
أفاطمي أنت يا رجل؟
رجـــــــل ٢: **(بجزع)**
لا ولكني أقول ما أراه
الشاعـــــــر: **(ينضم إليهما.. يبتعدان قليلا توجسا منه)**

الطفــــــــل: **(بجوار أمه التي جاء معها مـن قبـل لرؤية الخليفة)**

ياه.. أخيرا جاء الخليفة إلينا

أخيرا شاهدناه.. لن أحكي لأصحابي عنه

فلا أحب أن أكون خليفة مثله

يذكّرني باللص الذي يزف على حمار

ويسير وراءه الأطفال يهللون

(لأمه) هيا يا أمي نذهب

لن أطلب منك ثانية رؤية أحد

امــــــــرأة: **(تذكره)**

اصمت قد يسمعك رجال الخليفة

الطفــــــــل: **(بسخرية)**

أي خليفة.. هشام أم المنصور؟

امــــــــرأة: **(بسخرية)**

صحيح.. أي خليفة؟

(تبدأ الإضاءة في الاختفاء تدريجيا)

(ثم تسلط بقعة ضوء على الطفل)

الطفــــــــل: **(بحزن)**

أبني أمية أيـن أقمـار الـدجى مـنكم؟
وأيــن نجومهــا والكواكــب؟
غابــت أســود منهــا عــن غابهــا
فلــذاك حــاز الملــك هــذا الثعلــب
فلذاك حـاز الملـك هـذا الثعلـب!!

"تمت بحمد ا "